السبت 20 تشرين الثاني 2021
العدد 4494 السنة السادسة عشرة
Samedi 20 Novembre 2021 nº 4494 16ème année

24 صفحة
2000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

إيتل عدنان... اقترنت بالنور

انتخابات المحامين: أحزاب «تزرع» مستقلّين لـ«تقطف» النقيب [4]

حليب الرضّع: للمقتدرين فقط [6]

(أ ف ب)

إسرائيل وأميركا ومصر والخليج:

كيف نمنع ارتباط غزّة ببقيّة فلسطين؟

[2 ـ 3]

تقرير

التيّار الوطني الحرّ... **معارك مفتوحة على احتمالات مصيريّة**

5

العراق

المالكي يهندس «الكتلة الأكبر»

10

تحتجب «الأخبار» يوم الاثنين بمناسبة عيد الاستقلال

تقرير

ابن سلمان يخوض معركة الجمهوريّين: **حرب أسعار نفطية بوجه بايدن**

12

على الغلاف

إسرائيل تطلب وأميركا ترعى والتنفيذ مصري وخليجي:

كيف نمنع ارتباط غزّة ببقيّة فلسطين؟

إبراهيم الأمين

المصريّون أيضاً فوجئوا بما فعلته المقاومة في معركة «سيف القدس». كل الكلام عن تقديرات كانت واضحة لدى السلطات المصرية، السياسية منها أو الأمنية أو العسكرية، لم يكن له صلة بما يجري على الأرض فعلياً. ومشكلة المصريين هنا لا تتعلّق بالطلبات الأميركية (الإسرائيلية) الخاصة بضبط الحدود ومنع التهريب ووقف التنقل، بل في أنه بمعزل عما يقوله الأميركيون أو الإسرائيليون أو حتى جماعة سلطة رام الله، لم يكن لدى القاهرة توقعات حول القدرات الصاروخية التي ظهرت في المعركة. وأكثر من ذلك، لم يكن لدى القاهرة تقدير دقيق لنوعية التنسيق الجاري ميدانياً بين غزة وخارجها.

في وقت سابق، ركز المصريون على سياسة الضغط المباشر على القطاع والقوى الرئيسية فيه. تعامل فريق عبد الفتاح السيسي بقسوة مع حركة حماس، وتصرف على أنها امتداد لحركة الإخوان المسلمين في مصر نفسها. وذهب أبعد من ذلك، عند اتهامه الحركة بالضلوع في أعمال سياسية وأمنية وعسكرية تجري داخل الأراضي المصرية لمصلحة التنظيم المحظور. لكن مصر أضافت بُعداً آخر لتبرير سياسة الجرف والتشريد شمال سيناء وعلى الحدود مع القطاع، من خلال اتهام حماس برعاية مجموعات سلفية تقوم بأعمال إرهابية في سيناء. وجرى الحديث طويلاً عن تسرب مجموعات من القطاع تتبع عملياً لتنظيم «داعش». وبذل الجيش والمخابرات في مصر جهوداً جبارة لأجل محاصرة حماس في غزة بحجة أنها مصدر الإرهاب في سيناء ومناطق مصرية أخرى.

عملياً، وعلى مدى سنوات عدّة، اكتشف المصريون عقم هذه السياسة في محاصرة المقاومة في القطاع. وأدركوا أن حماس نفسها نجحت في أن تنأى بنفسها عن الضربات التي تعرّض لها جسم «الإخوان المسلمين» في أكثر من منطقة عربية وإسلامية. كما أدرك المصريون أن تأثير إيران يزداد قوة في القطاع ومن خلال بوابة المقاومة، ولا شيء آخر. وأن «الصبر» الإيراني نجح في «استعادة» جزء كبير من حماس، فيما تخلى طهران أصلاً بتعاون خاص مع الجهاد الإسلامي وتنظيمات علمانية في غزة.

لكن الصدمة التي أصابت المصريين لم تكن بعيدة عما أصاب غيرهم، وهي التي تتعلق في كون المقاومة في غزة نجحت في فك الحصار السياسي الكبير عن المقاومة فلسطينياً. وهو الهدف المركزي. واتّضح للمصريين أن ما قامت به قوى المقاومة في معركة «سيف القدس» لا يتعلّق بحجم أو عدد الصواريخ التي أطلقت من القطاع فحسب، بل في كون القطاع أعاد الاعتبار لخيار المقاومة على امتداد فلسطين كلها. وقد لمس المصريون، ومعهم هذه المرة خصوم (سابقون) لهم مثل قطر، أن ما جرى تحوّل في أيام قليلة إلى عملية ربط مباشر للقطاع مع كل فلسطين، وليس حصراً مع القدس أو الضفة الغربية. وهو ما تحدّث الإسرائيليون عنه في معرض إظهار الخشية من انعكاسات ما حصل على سلوك فلسطينيّي الداخل.

عملياً، انتقل الجميع الى خطّة عمل تقوم على فكرة أن الحصار السياسي والأمني والعسكري والاقتصادي الذي فرض على القطاع على مدى سنوات طويلة، لم ينجح في كسر المقاومة أو تعطيل قدرتها، ولم يحُل دون التواصل بُعده المعنوي وحتى العملاني مع بقية المناطق الفلسطينية. وبالتالي، فإن الاستراتيجية التي كانت تهدف إلى تعطيل قدرات المقاومة داخل القطاع، فشلت، وصار المطلوب اليوم البحث عن استراتيجية بديلة. وبحسب النقاشات الجارية على أكثر من صعيد، يبدو أن المشروع يقوم على القواعد الآتية:

أولاً: تريد إسرائيل البحث في أي صيغة من شأنها توسيع دائرة

> **المقاومة دخلت في مرحلة جديدة من التنسيق الذي يسمح بتطوير القدرات، والأهمّ توسيع مساحات المواجهة**
>
> **المساعي المصريّة والخليجيّة تهدف إلى إلغاء كل مفاعيل معركة «سيف القدس»**

الحصار لمنع تطوير قدرات المقاومة في القطاع، وخصوصاً في المجال الصاروخي. وترصد إسرائيل سعياً دؤوباً من جانب فصائل المقاومة في القطاع، للحصول على دعم أكبر من حزب الله وإيران في مجال التقنيات الخاصة بالتصنيع العسكري الصاروخي، سواء لناحية القوة الدافعة للصواريخ بما يسمح لها بالوصول الى مديات أكبر، أو لناحية تطوير تقنيات العمل بما يجعلها أكثر دقة في الإصابة، بالإضافة الى رفع قوة الرأس المتفجر المحمول على هذه الصواريخ. وإسرائيل تتابع الأمر من دون انتظار أي دعم من أي جهة، ولو أنها تطالب المصريين برفع مستوى الرقابة على الحدود مع القطاع، حيث يعتقد العدو أنها المعبر الوحيد الذي يمكنه إيصال القدرات والخبرات الى القطاع.

ثانياً: تريد إسرائيل ترتيبات أمنية وسياسية داخل قطاع غزة، تجعل القرار بإطلاق الصواريخ محصوراً بيد جهة واحدة تخضع لرقابة وإشراف من جانب الجهات العربية، وخصوصاً مصر، بالإضافة الى إعادة السلطة الفلسطينية وجزء من جهازها الأمني والعسكري للعمل داخل القطاع.

ثالثاً: استعداد أميركي لتغطية أوسع عملية استثمار في برامج إعادة الإعمار وخلق قطاعات إنتاجية ورفع مستوى البنى التحتية في القطاع، مقابل الحصول على اتفاق سياسي يسمح بإعلان هدنة طويلة الأمد بين فصائل المقاومة في القطاع وإسرائيل، حتى من دون الحاجة الى إلزام المقاومة بأي موقف سياسي خاص.

رابعاً: استعداد إسرائيلي لتوسيع دائرة الخدمات التي يحتاج إليها القطاع، سواء لناحية السماح بمرور شحنات تجارية عبر المعابر الواصلة الى أراضي الـ48، أو السماح بنقل واردات من موازنات السلطة الفلسطينية الى القطاع، وصولاً الى السماح لنحو عشرين ألف عامل من القطاع بالدخول يومياً للعمل في إسرائيل.

في مكان آخر، يجهد الأميركيون بالتعاون مع المصريين والإماراتيين من جهة، ومع القطريين من جهة ثانية، لتقديم مشروع الى قيادة حركة حماس في قطاع غزة، يقضي بفتح الأبواب أمام أكبر ورشة إعادة إعمار تشمل البنى التحتية العامة والمؤسسات الحكومية والصحية والتربوية، وتوسيع دائرة التبادل التجاري مع القطاع عبر الحدود المصرية، والسماح ببناء علاقات تعاون بين رجال أعمال مصريين وعرب وبين رجال أعمال من قطاع غزة. وناقش المصريون مع القوى الفلسطينية نقاطاً عملانية؛ بينها أن تتقدم هذه القوى بعرض يتضمّن لوائح بأسماء رجال أعمال أو شركات موجودة في القطاع للعمل مع نظرائهم المصريين.

لكنّ المصريين (والقطريين، لكن بدرجة أخف وشكل مختلف) كانوا شديدي الوضوح والصراحة في المداولات المباشرة التي جرت مع حماس أو الجهاد الإسلامي أو فصائل فلسطينية أخرى، حول الآتي:

أولاً: البحث عن سبل لإقرار هدنة طويلة الأمد تسمح بإطلاق مشاريع الإعمار، من دون تعرّضها لخطر التدمير في أي حرب مفاجئة. وبالتالي، الذهاب نحو اتفاق علني أو غير علني، يجعل الهدنة قائمة مع ضمانات مباشرة، تتطلّب في جانب منها تحقيق المصالحة مع السلطة الفلسطينية.

ثانياً: تراجع حماس عن بعض شروطها بما خصّ صفقة تبادل الأسرى مع العدو، بما يجعل أي حكومة في إسرائيل توافق على إتمام عملية التبادل من دون الخشية من تعرّضها لانتقادات داخلية. وعند التدقيق في الأمر، يمكن العثور فوراً على عناوين تجعل إسرائيل هي الجهة المقررة لعدد وفئات الأسرى الفلسطينيين المفترض أن تشملهم الصفقة.

ثالثاً: العودة الى البحث المباشر في صيغة لما يطلق عليه وصف «المصالحة الفلسطينية الداخلية»، إذ يسعى المصريون بوضوح الى إعادة الاعتبار لموقع السلطة الفلسطينية، لا على مستوى القطاع فحسب، بل على مستوى التفاوض باسم الفلسطينيين عموماً، وربط موقف المقاومة بموقف السلطة من ملفات عدّة.

رابعاً: يرى المصريون، بصورة خاصة، أن البحث مع فصائل المقاومة ينحصر في أحوال قطاع غزة ومتطلباته. حتى عندما يتحدثون عن هدنة تفضي الى وقف إطلاق النار من الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، فهم يرفضون ربط الأمر ببقية الأراضي الفلسطينية، ويعتبرون أنه لا يحق لقوى المقاومة في غزة الحديث عن القدس والضفة الغربية وبقية الأراضي الفلسطينية. وإذا كان المصريون قد أرسلوا ضباطاً كباراً للإقامة في قلب قطاع غزة، من أجل التنسيق المباشر بما في ذلك حول ورشة إعادة الإعمار، فإن العملية ينبغي أن تتمّ عبر شركة «أبناء سيناء»، لا عبر الجيش، وإنْ كان الأخير بسيطر فعلياً على كل الأنشطة والأعمال. لكن هذه الصيغة تسمح بالية للتعاون مع مقاولين من أهل القطاع. ويتحدث المصريون عن استعداد كبير لزيادة التبادل التجاري مع غزة، بما يسمح بدخول كميات كبيرة من حاجات القطاع من جهة، وبزيادة واردات السلطة من جهة أخرى. لكن القاهرة تكرر أن مطلبها بما خصّ المصالحة والسماح بعودة ولو رمزية للسلطة الفلسطينية الى غزة، إنما يهدف الى عدم صدور أي موقف عن رام الله من شأنه عرقلة برنامج المساعدات هذه. وطبعاً، يبادر المصريون الى القول إنه في حال موافقة المقاومة على الهدنة، يمكن عندها تجاوز مطلب السلطة بأن تكون هي المشرفة على برامج الإعمار.

عملياً، بدا واضحاً للقوى الفلسطينية أن المساعي المصرية والخليجية لا تهدف حصراً إلى تطويع المقاومة أو تعطيلها على مستوى غزة نفسها، بل أيضاً إلى إلغاء كل مفاعيل معركة «سيف القدس» ونتائجها. وكل هذه المبادرات إنما تهدف الى حصر المقاومة ضمن القطاع، ومنعها من التفاعل او التعامل مع بقية المناطق الفلسطينية، وأن يصار الى حصر اهتمامها بالمقايضة بين الفعل العسكري والمساعدات الاقتصادية والمعيشية. وينطلق المصريون من فكرة سبق للجانب البريطاني أن أثارها، لناحية «استبدال العقّاب والحصار بالإغواء والإغراق»، وهي فكرة تستهدف أن يُعرض على أهل غزة ما يجعلهم يفكرون بأنهم مُقبلون على نعيم اقتصادي ومعيشي، ليس مقابل التخلي عن المقاومة، بل لقاء التوقف عن الفعل المقاوم ولو لفترة زمنية. وإلى جانب وصف مسؤول فلسطيني المشروع بأنه «عرض غبي»، فإنّ مسؤولاً كبيراً زار القاهرة نقل عن مسؤول مصري قوله «الرئيس السيسي مستعد لأن يجعل غزة دبي ثانية إن تم الاتفاق على الهدنة والمصالحة»! من جانب فصائل المقاومة، تبدو الصورة أكثر وضوحاً من أي وقت سابق. فهي لمست النتائج الكبيرة لمعركة «سيف القدس» وهي تسعى إلى تطوير قدراتها العسكرية، كما إلى تعزيز ترابطها مع بقية المناطق الفلسطينية. وكانت النتائج تبرز تباعاً من خلال تصاعد الحركة الاحتجاجية في القدس والضفة الغربية، واستمرار النشاط الاعتراضي في مناطق الـ48. وفي الوقت عينه، كان الفريق العربي يمارس المزيد من الضغوط السياسية المباشرة على قيادات فصائل المقاومة من أجل «الحدّ» من تفاعلها أو تعاونها مع حزب الله وإيران، وحتى «التدخل» في مشروع إعادة وصل العلاقة مع سوريا.

ويقول قادة فلسطينيون إن المصريين والقطريين وحتى وسطاء أجانب، سمعوا كلاماً مباشراً بأنه لا يمكن لفصائل المقاومة الدخول في مقايضة «العيش بالتنازل السياسي». وقال مسؤول فلسطيني: «قلنا لهم إن غزة تمثّل أقل من 2 بالمئة من مساحة فلسطين، وأنتم تعرضون علينا الطعام والشراب مقابل التنازل عن 98 بالمئة من بقية الأرض والناس. وأنتم تعرفون أننا كنا نحصل على الطعام وحرية الحركة قبل اندلاع الانتفاضة الأولى والثانية، وأن الحصار لم يمنع عنا الطعام، وبقينا مستمرّين في المقاومة، وأنتم تعودون لتعرضوا الأمور نفسها، ولا تريدون ممارسة أيّ ضغط على العدو من أجل أن ينسحب ويتنازل ويتوقف عن الاعتداءات. ونحن لا نرى ما يوجب التنازل. ثم إن ربط المقاومة بمصير الضفة والقدس وبقية فلسطين صار أمراً واقعاً ولا يمكن لأي فصيل في القطاع تجاوزه حتى لو أراد ذلك».

ويضيف المسؤول نفسه: «أنتم تعرضون علينا الأشياء، بل أنتم تعرضون أقل بكثير مما عرضتم أو قدمتم للسلطة الفلسطينية وحركة فتح، وماذا كانت النتيجة؟». ويشرح مسؤول آخر شارك في جانب من الاتصالات: «المصريون يعرفون أنهم لا يقدرون على فرض الحصار من جديد، وهم يعرفون أن مثل هذا الأمر لن يؤثر على تطوير المقاومة لقدراتها، وأن الضغوط ستدفع بالمقاومة الى المزيد من العمل، وحتى الى الدخول في مواجهة جديدة مع الاحتلال، وهم يعرفون أن علاقة فصائل المقاومة بمحور المقاومة من بيروت الى دمشق وطهران، لم يعد أمراً قابلاً للنقاش، حتى لو كانت هناك تمايزات في تقديرات سياسية حول هذا الملف أو ذاك».

في الخلاصة، تواجه المقاومة في غزة اليوم تحدّيات ما بعد الانتصار. وهي تحدّيات سبق لها أن واجهتها بعد حرب عام 2014، كما تواجهها المقاومة في لبنان منذ عام 2000. وبحسب المناقشات الجارية في أكثر من عاصمة، فإن المقاومة دخلت في مرحلة جديدة من التنسيق الذي يسمح بتطوير القدرات، والأهمّ توسيع مساحات المواجهة وإدخال أسلحة جديدة يحاول العدوّ تجنّبها طوال الوقت.

بعد فشل محاولات قادها طوني بلير... بريطانيا تصنّف «حماس» تنظيماً إرهابياً

منذ سنوات عدة، بادر البريطانيون إلى إدارة محاولة إقناع حركة حماس بالتوصل إلى اتفاق غير مباشر مع إسرائيل على هدنة طويلة. وكانت المحاولة الأبرز على يد رئيس الحكومة السابق طوني بلير، الذي سبق أن زار الدوحة قبل سنوات عدة، وتوسط مع شخصيات قطرية لعقد اجتماعات مع قيادة حماس. ثم عقد جولة جديدة من المحادثات مع الرئيس السابق للمكتب السياسي للحركة خالد مشعل في مسقط بوساطة من سلطنة عمان. بلير عرض صفقة تقضي بأن توافق حماس على هدنة طويلة الأمد، مقابل اعتراف دبلوماسي وسياسي غربي بها. ووعد بلير بأن تستضيف لندن لقاءات بين جهات أوروبية وبين قيادة حماس، على أن يجري تطوير المستويات من لقاءات مع مراكز أبحاث ومجموعات برلمانية وأحزاب إلى الاتصال المباشر بالحكومات. وقد تعرض المشروع للفشل لأسباب كثيرة.

مجدداً، وبعد معركة "سيف القدس"، وعندما ألمح الجانب الألماني على لسان المستشارة أنجيلا ميركل إلى ضرورة "التعامل مع الأمر الواقع"، سعى العدو إلى منع أي مشروع للاعتراف العالمي بحركة «حماس»، وكعادتهم، تولى البريطانيون هذه المهمة، وبعدما أوكلوا إلى منظمة دولية تعنى بالحوارات والوساطات عقد لقاءات جديدة مع قيادة «حماس» لإقناعها بالحل السياسي، وكانت النتيجة سلبية، ولقطع الطريق على أي تواصل سياسي خاص، بادرت الحكومة البريطانية أمس، وبواسطة وزارة الداخلية، إلى عرض مشروع إلى البرلمان لأجل تصنيف حركة «حماس» منظمة إرهابية وعدم اقتصار الأمر على جناحها العسكري، في تكرار لما حصل مع حزب الله.

وقالت وزيرة الداخلية البريطانية بريتي باتيل، إن بلادها تتجه لحظر حركة «حماس» وتجريم داعميها، معللة ذلك بـ«قدرة حماس الإرهابية الكبيرة، التي تتضمن الوصول إلى أسلحة واسعة ومتطوّرة، فضلاً عن مرافق تدريب الإرهابيين». وقالت في بيان إن «حماس» ستكون محظورة بموجب «قانون الإرهاب» الداخلية، إلى عرض مشروع إلى البرلمان لأجل تصنيف حركة «حماس» منظمة إرهابية وعدم يرفع علمها أو يرتب لقاءات لها، يخرق القانون. على أن تقدم الوزيرة قرار الحظر إلى البرلمان الأسبوع المقبل.

تتمرّنان على «القوس» في غزة (أ ف ب)

تقرير

إرجاء «مصالحة خلدة» إلى اليوم

أرجئ اجتماع مصالحة خلدة، الذي كان من المفترض عقده أمس، إلى اليوم بسبب انشغال مدير المخابرات العميد أنطوان القهوجي المكلّف من قبل قائد الجيش بمتابعة ملف المصالحة. وعلمت «الأخبار» أن الاجتماع الذي سيعقد في مكتب القهوجي سيضمّ ستة أشخاص يمثلون عرب خلدة، إلى جانب رئيس اتحاد العشائر العربية جاسم العسكر، كما سيضم ممثلين عن حزب الله. وذكرت المصادر أن الاجتماع أوليّ لبحث الإطار العام للمصالحة التي لم يبدأ مسارها حتى اليوم. وهذا الاجتماع سيخوض في مطالب أهالي شهداء خلدة، الذين سقطوا في الأول من آب الفائت، بإطلاق النار على مشيّعي الشهيد علي شبلي الذي قضى قبل ذلك بيوم في منطقة الجية. كذلك ستُربَط تلك المطالب بمسار الملف القضائي القائم أمام المحكمة العسكرية.

(الأخبار)

تقرير

انتخابات نقابة المحامين
أحزاب «تزرع» مستقلّين لـ«تقطف» النقيب

يتحضّر المحامون لانتخاب 9 أعضاء لمجلس نقابتهم في بيروت، غداً من 38 مرشحاً، بينهم 9 مرشحين سيخوضون الانتخابات لمركز النقيب يوم الاحد الذي يليه. وبسبب الاوضاع الاقتصادية وسوء الاحوال الجوية، وعدم تسديد كثير من المحامين اشتراكاتهم، يتوقع أن يُشارك في الاستحقاق اقل من 4000 محام، أي اقل من نصف عدد الهيئة الناخبة. وفيما تتبنّى بعض الاحزاب مرشحين لانتخابات العضوية، إلا أنّ غالبيتها ترفض الجهر بدعم علني للمرشحين لمركز النقيب، لعدم تلقّي خسارة في النقابة قبل موعد الانتخابات النيابية

لينا فخر الدين

لم تُحسم التحالفات التي ستُخاض على أساسها انتخابات نقابة المحامين غداً. المحامون اعتادوا أساساً على حسم الأمور في الـ24 ساعة الأخيرة قبل الاستحقاق، وإن كانت هذه الانتخابات تختلف عن سابقاتها لكثرة المراكز الشاغرة بسبب إرجاء الاستحقاق العام الماضي. لذلك، ستكون النقابة على موعد مع انتخابات هي الأكبر في تاريخها لاختيار 9 أعضاء لمجلس النقابة من أصل 11 (لم تنته ولاية اثنين من الأعضاء السابقين).

رغم ذلك لا يُتوقّع أن تكون المشاركة كثيفة، كما يقول متابعون، انطلاقاً من عدم تسديد محامين كثر اشتراكاتهم بسبب الأوضاع الاقتصادية، فيما يتردّد أن اشتراكات البعض سُدّدت من قبل مرشحين كـ«رشاوى انتخابية». عدم تسديد الاشتراكات سيخفّض عدد الناخبين إلى أقل من 7400، تتوقّع الماكينات الانتخابية مشاركة أقل من 4000 منهم بسبب سوء الأحوال الجوية المتوقع نهاية الأسبوع، وارتفاع سعر صفيحة البنزين، إضافة إلى تململ كثيرين بعد تدهور أوضاعهم المادية والمهنيّة «بسبب أداء مجلس النقابة المنتهية ولايته»، كما يقولون.

وبعكس حجم المشاركة الذي يتوقع أن يكون هزيلاً، فإن المرشحين كُثر، إذ تجاوز عددهم الـ43 مرشحاً قبل أن ينسحب بعضهم لينخفض العدد إلى 38، من بينهم 9 مرشحين لمركز النقيب. ويقضي القانون بأن يفوز المرشح لهذا المركز في الدورة الأولى. ويؤكد محامون أنّ بعض المرشحين لمنصب النقابة غير جديين، وأنّ 5 منهم سيخوضون معركة حقيقية ويتوقّع أن يفوز معظمهم بالعضوية، وهم: عبده لحود، ناضر كسبار، الكسندر نجار، رمزي هيكل وموسى خوري.

البعض يراهن على أنّ هيكل (مدعوم من الكتلة الوطنية) وخوري قد يأكل أحدُهما من صحن الآخر باعتبار أنهما مرشحان على لائحة المعارضة التي تحمل اسم «نقابتنا»، إلا أن المؤيدين لهما يؤكدون أنّ وجود مرشّحين اثنين لمنصب النقيب على اللائحة نفسها يزيد حظوظها في الفوز، خصوصاً أنّ هذه اللائحة هي الوحيدة المكتملة، وتضمّ مرشحين «مستقلين حقيقيين في وجه أحزاب السلطة»، بحسب المحامي مازن حطيط.

إلا أنّه لا يُتوقّع أن تنضوي قوى المعارضة جميعها تحت لواء «نقابتنا»، إذ يمكن أن يتوزّع المعارضون أيضاً بين كسبار ونجّار، ولو أنّ الشائعات تشير إلى أنّ الأول ستدعمه حركة أمل وتيار المستقبل والثاني مرشّح من حزب الكتائب ومدعوم من قبل التيار الوطني الحر، بعدما سحب «العونيون» أيديهم من المرشح المحسوب عليهم فادي بركات ليخوض الاستحقاق كـ«مستقلّ» وفي «إطار خطة عمل نقابية بحتة»، وفق ما أكّد لـ«الأخبار».

بدوره، يؤكد نجار أنّه مرشح مستقل ولو أن هناك دعماً له من بعض الأحزاب ومن نقباء سابقين وعدد من مكاتب المحاماة الكبرى بسبب علاقاته المهنية. واعتبر أنّ «دعم الأحزاب لمرشحين بحسب معايير مهنيّة أمر صحي، فيما إطلاق الشائعات المغرضة والتعرّض للمرشحين بالشخصي أمر غير مقبول ولم تشهده الاستحقاقات الماضية».

كذلك نفى المرشح عبده لحود الذي يحظى بدعم حزبَي الوطنيين الأحرار والقوات اللبنانية أن يكون مرشح حزب القوات، مشيراً إلى أنّ عضويته في مجلس النقابة وعمله مفوّضاً للنقابة في قصر عدل بيروت، إضافة إلى عمله النقابي والبلدي، ساهمت في بناء علاقاتة المتشعّبة مع أكثر من تيار وحزب من دون أن يكون محسوباً عليها بشكل مباشر.

(مروان بو حيدر)

الأحزاب تنسحب؟

كلّ ذلك يشي بأن أحزاب السلطة اتخذت قراراً بعدم تبنّي مرشحين حزبيين لمركز النقيب علناً. «وهذا طبيعي في انتظار ما ستسفر عنه الجولة الأولى من الانتخابات، إضافة إلى عدم رغبة معظم الأحزاب، على مشارف الانتخابات النيابية، في إعادة سيناريو الخسارة المدوّية التي تلقّتها في انتخابات نقابة المهندسين»، وفق عدد من المحامين.

> العونيون والاشتراكيون غير متحمّسين للاستحقاق

غير أن ذلك لا يعني أن لا تقوم بعض الأحزاب بـ«قطف» النقيب فور وصوله والإعلان بأنها كانت تدعمه من تحت الطاولة.

وبالتالي، يبدو منطقياً أن تشكّل الأحزاب لوائحها الخاصة وتتداخل مصالحها في انتخابات الجولة الأولى على دعم مرشح واحد، كما هو حاصل في الدعم الذي يتردد أن مرشح حركة أمل شوقي شريم يحظى به من حزب الله وتيار المستقبل والكتائب. فيما تشير المعطيات إلى أنّ الحزب التقدمي الاشتراكي والتيار الوطني الحر تركا الخيار لناخبيهما في الجولة الأولى من دون أن يكون لهما أي مرشح لعضوية النقابة، أو حتى حماسة لخوض الانتخابات.

اللذين ترشّح لهما كلّ من محمود هرموش ومنير الحسيني (تيّار المستقبل)، زاهر العلي (تيّار العزم)، غسان مرعي (القومي)، هاني المرعبي (مُقرّب من الوزير السابق أشرف ريفي)، سهير درباس، رنا تانيا الغز وعبد السلام الخير.

وإذا كانت كلّ القوى والتيّارات السياسية قد أعلنت موقفها من الانتخابات ودعمها هذا المرشّح أو ذاك، فإنّ تيّار العزم وحده لم يكشف عن موقفه بعد من الاستحقاق، على رغم أنّ لديه مرشحاً للعضوية هو زاهر العلي. وتوقعت مصادر نقابية «ألا يتبنى تيّار الرئيس نجيب ميقاتي أيّ مرشّح، سوى مرشحه للعضوية، على أن يترك الخيار للمحامين المحسوبين عليه لاختيار من يرونه مناسباً، سواء لمنصب النقيب أو العضوية».

وإلى جانب تيّار المستقبل، تلقت القوّال دعماً من تيّار الكرامة والجماعة الإسلامية والمؤتمر الشعبي وآخرين، ومن نقباء سابقين ومكاتب محاماة كبرى ومستقلين، ما يجعلها حسابياً تتقدم على منافسيها، وتحديداً فضّول وعبدو اللذين يسعيان إلى منع حسم نتائج الانتخابات من الجولة الأولى، وجرّ القوّال إلى جولة ثانية، انطلاقاً من اعتبارهم أنّ حسابات الجولة الثانية مختلفة، وأنه من الممكن تحقيق مفاجأة فيها.

لكنّ القوّال توقّعت في حديث لـ«الأخبار» أنّ تُحسم الأمور من الجولة الأولى، لافتة إلى أنّ «المعنويات لديّ مرتفعة جدّاً نظراً للدعم الكبير الذي تلقيته من بقية الزملاء، الذين أعرفهم ويعرفونني قبل وبعد فوزي بعضوية مجلس النقابة عام 2010». لكنّها توقفت عند من يحاربونها في السياسة، والتصويب على انتمائها لتيّار المردة، للتأكيد أنّه «لديّ كلّ الجرأة لأعلن موقفي السياسي، على عكس آخرين معروفين بانتمائاتهم السياسية، لكنّهم يخجلون من الإعلان عنه، أو الاختباء خلف شعارات أخرى».

> محامو التيار الوطني الحر يدعمون المرشح فضّول إلى جانب «القومي»

لكنّ انتخابات غد لا تقتصر على منصب النقيب، إذ تدور في الموازاة انتخابات تنافسية حامية على العضوية بين تسعة مرشّحين من أجل الفوز بثلاثة مقاعد، مسيحي ومسلمَين، أفضت الاستعدادات لها إلى خلط أوراق التحالفات، وقد تدفع نتائجها نحو الذهاب إلى جولة ثانية من عدمه. فعن المقعد المسيحي ترشّح كلّ من مروان ضاهر المحسوب على تيّار المستقبل وسمعان إسكندر المقرّب من حركة الاستقلال. وإذا كانت حظوظ ضاهر متقدمة على إسكندر، فإنّ تنافساً كبيراً يدور على المقعدين المسلمين جديد وعضو آخر في مجلس النقابة العام الماضي بسبب تفشّي فيروس كورونا، ما فرض تمديد فترة ولاية النقيب الحالي محمد المراد، المحسوب على تيّار المستقبل، وأحد الأعضاء، عاماً إضافياً.

ثاني هذه الاعتبارات أنّ من بين المرشّحين لمنصب النقيب يبرز اسم مرشّحة تيّار المردة ماري تيريز القوّال، التي ستكون في حال فوزها أوّل امرأة تتحلّ هذا المنصب، فضلاً عن أنّ الانتخابات في نقابة المحامين تأتي قبل أشهر من الانتخابات النيابية التي يرتقب إجراؤها العام المقبل، ما فرض إجراء تغييرات في التحالفات بين التيّارات والقوى السياسية المؤثّرة داخل النقابة، وجعل حساباتها مختلفة عن دورات الانتخابات السابقة.

أبرز هذه التبدّلات تمثّلت في تلقّي القوّال دعماً واضحاً من تيّار المستقبل، بعد خلافات سياسية أبعدته عن تحالفاته السابقة مع القوّات اللبنانية التي دعمت مرشحها جوزيف عبدو. أما التيّار الوطني الحرّ فيدعم إلى جانب الحزب السوري القومي الاجتماعي المرشّح بطرس فضّول. فيما ترشّح كل من طوني خوري وجورج جلّاد لإثبات حضورهما وتسجيل موقف.

بـ50,000 فيك تشترك بجريدة الأخبار
لشهر واحد
(6 أشهر أقل مدة للإشتراك)
(هذا العرض صالح لغاية 31-12-2021)
71-513571
01-759500

تقرير

التيار الوطني الحر
معارك مفتوحة على احتمالات مصيرية

لا يدخل التيار الوطني معاركه المتعددة، في نهاية العهد، كما دخلها في بدايته. فحلفه مع حزب الله لم يخفف في المراحل الأخيرة من أثقال يواجهها. ولو أن سقف الحلف الاستراتيجي لا يزال يغطي العهد ومرشحه للرئاسة

(هيثم الموسوي)

هيام القصيفي

على عكس خصومه، وحتى حلفائه، يُكثر التيار الوطني الحر من معاركه الأساسية والجانبية. ففيما يحاول الخصوم والحلفاء تأطير معاركهم الآنية في أقنية المواجهة، يخوض التيار، عدا خصوماته التقليدية مع الرئيس نبيه بري والقوات اللبنانية، ثلاث معارك دفعة واحدة: عودة الحكومة إلى العمل، والانتخابات النيابية، والانتخابات الرئاسية. وعلى رغم أنه في المشهد العام يبدو منكفئاً عن الإطلالة والاستفزازات، إلا أن التيار يتحرك في الخطوط الخلفية. وبين المعارك الثلاث، تبدو مهمته شاقة، بقدر ما تكبر خطورة التحديات التي يواجهها في السنة الأخيرة من العهد.

فالمعركة التي قام بها رئيس التيار النائب جبران باسيل لتشكيل الحكومة، برئاسة الرئيس نجيب ميقاتي، لم تكن من أجل الفكرة المبدئية بضرورة تشكيل حكومة فحسب، بل إن التيار المتوجس من السنة الأخيرة من العهد، وما بعدها، يحتاج إلى قوة دفع جديدة في الإدارة على مختلف مستوياتها، ديبلوماسية وقضائية وإدارية، وقد تكون أمنية كذلك، من أجل أن يبقى على وجود فاعل في كل هذه المؤسسات، حيال أي لحظة مصيرية. من هنا مثّل تعطيل مجلس الوزراء نكسة للتيار والعهد، لا سيما مع تعذر تجاوز هذا المطب سريعاً. لذا تفهم حركة عون وباسيل معاً من خلال التعبير في شكل واضح وعلني محلياً، عدا عن توجيههما رسائل عربية ودولية، عن رغبة في استقالة وزير الإعلام. يحتاج العهد وباسيل إلى الحكومة واستعادة اجتماعات مجلس الوزراء بسرعة. فورشة التعيينات صارت أكثر فأكثر ملحة، سواء حصلت الانتخابات النيابية أم لم تحصل، بعدما كان انصرف التيار أخيراً إلى إعداد عشرات الملفات لمرشحيه إلى عدد من المناصب المختلفة، مطمئناً إلى قدرته على تجاوز أي مطبات واعتراضات عليها في مجلس الوزراء. وهو هنا لم يُظهر ارتياحاً إلى أداء حزب الله في تغطية موقف تيار المردة، لما في ذلك من انعكاس مباشر على استعادة العمل الحكومي، وهو كان يفضل احتواء الأزمة من جانب الحزب قبل توسعها لتصبح ذات أبعاد خارجية. فالقضية لا تتعلق بموضوع علاقات لبنان العربية، بقدر تأثيراتها الداخلية، إذ كان يفترض أن تكون الحكومة منصة لتعويم العهد وخليفته، وإنقاذ التيار نفسه بعد سلسلة من الهزات المتتالية. وكلما تأخرت الحكومة في استعادة جلساتها، زاد الثقل عليه، في وقت يحتاج إلى مختلف عناصر الدفع لتحضير كل أدوات المعركتين الانتخابية والرئاسية.

> كلما تحدّث عون وباسيل عن مستقبل الرئاسة، زادت شكوك معارضيهما بأن المطلوب هو هوية النظام

المعركة الثانية هي معركة قانون الانتخاب والانتخابات. يشكل قانون الانتخاب محكاً أساسياً للتيار، بعدما كان قبل به في اللحظات الأخيرة قبل إقراره سابقاً. وهو اليوم يعيد الكرة بخوضه معركة في المجلس الدستوري بعدما تعذر عليه فرض ما يريد في المجلس النيابي. وكلام رئيس الجمهورية حول تمسكه بموعد أيار لإجراء الانتخابات، والذي لن يرضى عنه بديلاً، يفتح الباب أمام المجلس الدستوري كإيحاء مكشوف حول رغبة عون في الذهاب في معركة قانون الانتخاب إلى الحد الأقصى. وهذا الأمر سيتحول من الآن فصاعداً معركة متعددة الجوانب. فبين ارتفاع أعداد المغتربين المسجلين للانتخاب على أساس 128 نائباً إلى ما فوق المئتي ألف، واحتمال الطعن بهذا البند، وبين التحالفات التي بدأت تأخذ شكلاً جدياً بين خصومه كالقوات اللبنانية والتقدمي الاشتراكي، واحتمال انضمام تيار المستقبل إليهما، يصبح من الصعب على التيار التعامل مع الانتخابات كحدث انتخابي مجرد. في الأساس يعرف التيار أنه حصر نفسه في زاوية قلّ فيها عدد حلفائه، ولم يتبق له إلا القليل من العناصر التي تؤمن له شبكة تحالفات ليست كبيرة بما يكفي. وهو أكثر الذين يحتاجون إلى أشهر إضافية من أجل تعزيز تحضيراته، خصوصاً الداخلية بعد ظهور إشكالات وأنواع مختلفة من الامتعاض حول خريطة المرشحين الحزبيين. وعلى رغم وجود عناصر أساسية محقة في طعن التيار بتعديل قانون الانتخاب، إلا أن شد الحبال السياسي العام وحوّل القانون في شكل خاص، قد يجعل تطيير الانتخابات أمراً غير مستبعد، وهذا ما يريح التيار أكثر مما يريح غيره من الأحزاب التي تصر على الاستحقاق النيابي، وفي أقرب وقت ممكن. إلا أن العقبة التي لا تزال تعيق حركته تظهر في تمسك المجتمع الدولي بإجراء الانتخابات، والتيار في هذه المرحلة لا يحتاج إلى زيادة عدد خصومه خارجياً وتحميله والعهد مسؤولية تطيير الانتخابات.

ثالثاً الانتخابات الرئاسية. كل الطرق تؤدي إلى ما بعد انتهاء ولاية عون. وهذا هو الاستحقاق الأهم، ورسائل العهد وباسيل إلى الخارج تفتح الباب أمام تكهنات كثيرة بسيناريوهات تجعل من المحتم الذهاب إلى مناقشات مفتوحة حول النظام اللبناني، بما يجعل من استحقاق الرئاسة أحد عناصر الأزمة حينها لا كلها. وكلما ذهب عون وباسيل إلى تبريرات حول مستقبل الرئاسة ومواصفات الرئيس المقبل، زادت الشكوك لدى معارضيهما بأن المطلوب هو هوية النظام وليس هوية الرئيس.

تقرير

حليب الرضع بعد «الترشيد»: للمقتدرين فقط

(هروات بو حيدر)

رأجانا حمية

في عزّ «الانتفاضة» التي رافقت قرار رفع الدعم - جزئياً - عن أدوية الأمراض المزمنة، مرّ بالتوازي قرار آخر يرفع الدعم عن حليب الأطفال الرضّع بنسبة 50%. صحيح أنه مرّ بصمت ولم يدركه إلا «أهله»، إلا أن آثاره ليست أقل كارثية مما فعله قرار أدوية الأمراض المزمنة، خصوصاً أن الرفع يأتي اليوم في ظل أزمة اقتصادية دمّرت قدرة السكان الشرائية. فماذا يعني اليوم أن تصبح كلفة إطعام رضيع بـ«أرخص» نوع من حليب الأطفال يساوي الحدّ الأدنى للأجور؟ بحسبة بسيطة، يحتاج الطفل الرضيع أسبوعياً لعبوتين من الحليب، أي 8 عبوات شهرياً. اليوم،

ارتفع سعر حليب الرضع الأرخص سعراً من 12 ألف ليرة إلى 93 ألفاً

يبلغ السعر الأدنى لحليب الرضع بحسب قرار الوزارة بعد الرفع الجزئي للدعم 93 ألف ليرة لبنانية، وهو ما يعني عملياً أن العائلة تحتاج لمبلغ شهري بقيمة 744 ألف ليرة لبنانية لإطعام رضيعها. أما وفق حسابات السعر الأقصى - إذ إن بعض أنواع الحليب يصل سعرها إلى 230 ألف ليرة - فإن كلفة الشهر تبلغ مليونا و840 ألف ليرة لبنانية، وهي تتوازى أكثر من ضعفي الحد الأدنى للأجور. وهي للمناسبة قيمة لا يتقاضاها جزء كبير من العاملين اليوم.

ليس قراراً عابراً، وإنما هو بحسب الكثير من الأهالي وبعض الصيادلة قرار كارثي، خصوصاً أن «الأرقام» التي وصل إليها سعر عبوة الحليب «مهول»، على ما يقول نقيب الصيادلة، غسان الأمين. يروي صيادلة آخرون عن أحوال الناس بعد صدور القرار، فيشير أحدهم إلى أن «كثراً منهم لم يعد بمقدورهم شراء نصف عبوة، وهذا ما بتنا نراه، حيث يسألون عن السعر ثم يخرجون من دون أن يطلبوا شيئاً». أكثر من ذلك، لم يعد هؤلاء كالسابق «ما بقي فيه خود وإعطي»، فقد بات الاستسلام هو عنوان مرحلة ما بعد رفع الدعم.

ضمن الفئة العمرية التي تتراوح ما بين سنة وثلاث سنوات الذي خرج من الدعم، إلا أن «الضربة» هنا بحسب الصيادلة أتت دفعة واحدة، وليس بشكل تدريجي، حيث قفز سعر عبوة الحليب من 12 ألف ليرة أو 18 ألفاً أو ثلاثون ألفاً إلى 93 ألفاً و111 ألفاً و215 ألفاً و230 ألفاً، وهي أسعار لم تعد بمتناول أيدي الكثير من العائلات «إلا من يملك المال»، هذا ما يقوله كثر من الصيادلة. وربما لم يعد أمام الناس، وجلهم من الفقراء، إلا «اللجوء إلى المساعدات أو مراكز الجمعيات»، على ما يقول الصيدلي حمود الموسوي، الذي يردّ سبب الوصول إلى هنا «إلى الدولة التي لم توجد آلية لترافق بها مرحلة ما بعد الدعم، بل رفعت الغطاء عن معظم الاحتياجات الأساسية من دون أن تسند ذلك بقرارات أخرى تساعد السكان». برأي الأخير، رمت الدولة مشاكلها وتركت الناس لمصيرهم، وهو ما يجري اليوم، حيث يجد معظم هؤلاء أنفسهم عاجزين عن تأمين علبة الحليب. وإذ اتجه بعض الناس نحو خيارات أخرى، كاستخدام أنواع أقل سعراً أو العودة إلى الرضاعة الطبيعية، إلا أن هناك بعض الرضع الذين لا يمكنهم التوجه نحو البدائل، «خصوصاً إذا ما كان هذا الحليب لا بديل له ويستخدم أيضاً كعلاج وليس للتغذية حصراً»، على ما يقول الصيدلي محمد فحص.

كل ذلك لم تلتفت إليه القرارات الرسمية بحجة تقليص مصرف لبنان لموازنة الدعم. ولئن كانت وزارة الصحة تبدي عجزاً بسبب النقص بالمال، إلا أنها سارت بالقرار دفعة واحدة. هذا ما يأخذه الصيادلة عليها، وإن كان نقيب الصيادلة يستدرك قائلاً إنه «لم يكن لديها سوى خيارين، إما الاستمرار بالدعم وبقاء الحليب مفقوداً او رفع الدعم وتوافره». وكلاهما «خياران سيئان، لكن يبقى الشيء أهون من الأسوأ»!

تقرير

السكن الطالبيّ في مجمع الحدث مهدّد بالإقفال

فاتن الحاج

مشكلة السكن الطالبي في مجمع الجامعة اللبنانية في الحدث، هذه المرة، لا تتعلق بزيادة كلفة السرير أو وضع شروط تفاضلية تعجيزية للإقامة مثل خفض عدد السنوات لتهجير الطلاب. القضية معقّدة أكثر من ذلك بكثير، فالسكن ليس جاهزاً أصلاً لأن يفتح أبوابه أمامهم، وليس معروفاً حتى الآن ما سيكون مصير المسجّلين القدامى ومن قدّموا طلبات جديدة، وما إذا كانوا سيتحملون عبء البحث عن سكن خارج الجامعة بتكاليف تفوق قدراتهم أم لا.

الصورة ضبابية وعودة الطلاب إلى الصفوف إذا ما التزم أساتذتهم قرار الهيئة التنفيذية لرابطة الأساتذة المتفرّغين تعليق الإضراب لن تترافق حتماً مع عودة إلى السكن. «ليس قبل بداية العام المقبل 2022 إلا إذا حدثت معجزة»، كما قال لـ «الأخبار» رئيس الجامعة بسام بدران، بالنظر إلى حالة السكن الحالية التي تفتقر إلى أدنى مقوّمات العيش.

الشركة الملتزمة بخدمات التشغيل والصيانة في المجمع «دنش لافارجيت» تمتنع عن القيام بمعظم أعمال الصيانة، بعدما كانت هدّدت في أواخر آذار الماضي بالمغادرة وقطع رواتب الموظفين ما لم تدفع الدولة مستحقّاتها المتأخرة، وهذه المستحقات لم تُدفع حتى اليوم.

ووسط التجاذب بين الشركة والدولة، تقع الجامعة والطلاب كبش فداء، ولا سيما في ظل عدم القدرة على إجراء مناقصات جديدة، لكون الأسعار تُحدد بالدولار.

بحسب بدران، تمّ الإعلان عن مناقصتين لصيانة السكن وقد فشلتا بسبب عدم تقدم أيّ عارض، فيما الجامعة لا تملك القدرة على إبرام العقود مع المتعهّدين، «خصوصاً أن هذا العقد يجب أن لا يكون خاضعاً لأي ابتزاز، وأن يأخذ طابع الديمومة، وصفة العقد الفني الدقيق، لكونه يتعلق بصيانة معدات، وأن تُدرس الأسعار بدقة، وأن تكون هناك بنود جزائية للمُخلّين بالعقد».

وبما أن الحكومة في العقد ممثّلة بمجلس الإنماء والإعمار، فقد طالب بدران المجلس بالمساهمة في تأمين مقوّمات الصمود وقال إنه سيتابع الملف في أقرب وقت ممكن مع رئيس الحكومة نجيب ميقاتي ووزير التربية عباس الحلبي وديوان المحاسبة لوضع حلول سريعة لمشاكل السكن قبل أن يزيد «الخراب» فيه ويقفل.

تجدر الإشارة إلى أن الملف لا يزال في «الديوان»، ملف صيانة الجامعة «ينتظر رأي ديوان المحاسبة»، بعدما رفض وزير التربية السابق طارق المجذوب، الذي يقوم بدور المراقب على العقد، دفع المستحقات كاملة للشركة المتعهّدة على خلفية أنها لا تتناسب مع حجم الأعمال المنفّذة، ولا سيما خلال فترة الإقفال القسري بسبب كورونا.

ومن ملامح «الخراب» في السكن الطالبي اليوم غياب الصيانة والنظافة والحراسة والمياه الساخنة والإنترنت والكهرباء والمازوت، فيما باتت

سكن الحدث «خربة» والصيانة معلّقة في مجمع الشمال

تكاليف التشغيل بالدولار مخيفة، على ما قال بدران.

مشكلة الصيانة نفسها تعطّل مجمع الجامعة اللبنانية في الشمال، مع فارق أن الشركة المتعهّدة هناك «شمّعت الخيط» وغادرت لأسباب نفسها: عدم دفع مستحقّاتها. ووفق بدران، لن يكون المجمع قادراً على استقبال الطلاب في التعليم الحضوري ما لم تُحل هذه المعضلة. بدران طالب بأن تتحمل الدولة مسؤولياتها تجاه هذين المجمعين ومعالجة مشاكلهما الملحّة والتي لا تنتظر أي تأجيل أو مماطلة، لكونها ستنعكس حتماً على حسن سير التعليم الجامعي وستسود «العتمة» الدراسية، فهل سيرفع الطلاب الصوت ضد الخطر الوجودي الذي يتهدد الجامعة والتقصير المنهج من السلطة السياسية تجاهها؟

(أرشيف ـ مروان طحطح)

تقرير

شركات الأدوية العالمية نحو «الانسحاب» من لبنان: فرصة للصناعة المحلية؟

تتجه المكاتب التمثيلية لشركات الأدوية العالمية في لبنان إلى إعادة «هيكلة» عملها في لبنان، مدفوعة بالأزمة المالية التي تهدّد تلك الشركات سيراً رئيسياً في اتخاذ هذا الخيار. ولئن كان المعنيون في تلك المكاتب يشيرون إلى أن إعادة الهيكلة لا يعني الخروج من السوق، إلا أن الواقع يترجم على غير ذلك. حيث بدأت بعض الشركات بتقليص أعداد موظفيها إلى الحدود الدنيا وأخرى أقفلت مكاتبها نهائياً مسلّمة الوكيل مهامها، فيما تدرس شركات أخرى خياراتها لاتخاذ القرار إما بتقليص عملها أو الإقفال

رأجانا حمية

يوماً بعد آخر، تستحيل الأزمة الاقتصادية المالية أكثر شراسة في تأثيراتها على القطاعات الاقتصادية. فكلما تمدّد العجز المالي، تضاعفت المصاعب التي تواجهها تلك القطاعات أو العاملين بها. مع ذلك، لا تتوحّد التأثيرات بين الكل، فثمة قطاعات لا تزال في أول طريق الأزمة، فيما تواجه أخرى مصاعب مصيرية «قد لا تبقي ولا تذر»، ومنها قطاع الأدوية الذي يتهاوى اليوم تحت الضربات، التي كان آخرها رفع الدعم - الجزئي - عن أدوية الأمراض المزمنة والمستعصية. ولئن كانت هذه الضربة الأخيرة قد أحدثت صَجّة كبيرة لكونها تمسّ بتداعياتها مئات آلاف المرضى الذين وجدوا أنفسهم عاجزين عن تحمل تكاليفها، ثمة أزمات أخرى تحدث في القطاع «عالسكت»، ومنها أزمة «انسحاب» المكاتب التمثيلية لشركات الأدوية العالمية أو بتعبير آخر «إعادة الهيكلة» التي بدأت بها معظم تلك المكاتب في لبنان، على حد توصيف رئيسة تجمّع الشركات العالمية، كارول حسون.

اليوم، وبصرف النظر عما يمكن أن يسمى ما يحصل على صعيد مكاتب الشركات العالمية الممثلة في لبنان، ثمة واقع كالتالي: بعض الشركات تجري عمليات تقييم لوجودها في البلاد، فيما حسمت شركات أخرى قراراتها التي ترجمت بإقفال بعض مكاتبها أو بـ«تشحيل» أعداد موظفيها في إطار إعادة هيكلة تواكب بها الأزمة المالية. وفي هذا السياق، يمكن الإشارة إلى بعض المكاتب التي بدأت باتخاذ خطوات جديدة على طريق إعادة الهيكلة، ومنها شركة «نوفارتس» التي عمدت أخيراً إلى تقليص أعداد موظفيها في مكتبها إلى 30 موظفاً، فيما عملت على تسريح ستين آخرين، وكذلك الحال لشركة «فياتريس» التابعة لشركة «فايزر» والتي سرحت ما يقرب من 31 موظفاً، وشركة «ميدا» التي أقفلت مكتبها، فيما تعتزم شركات أخرى إلى اتخاذ خيارات مماثلة ومنها شركة غلاكسو سميث كلاين (GSK) و«تبوك» وشركة «حكمة» أيضاً التي تدرس خيار الإقفال لا التسريح.

مع ذلك، ليس هذا المسار جديداً لدى شركات الأدوية العالمية التي بدأت بـ«درس» خياراتها منذ بداية العام الجاري، إذ عمدت حينها بعض الشركات إلى تسريح موظفيها وإقفال مكاتبها، ومنها شركتا «باير» و«ليو فارما»، من دون أن تعلّق مهامها التي أوكلت بها إلى الوكلاء المحليين. ولا يزال «الحبل على الجرار»، خصوصاً مع تمدد الأزمة المالية التي قد تدفع الكثير من الشركات لاتباع النهج نفسه. يوجد اليوم في لبنان ما يقرب من 40 شركة عالمية، منها 20 شركة عالمية كبرى، متعددة الجنسيات، بحسب حسون، «تدفعها الأزمة الاقتصادية اليوم إلى إعادة النظر في طريقة العمل لتصبح أكثر قدرة على التكيف مع الوضع غير السليم الذي يمر به لبنان». تؤكد حسون في الوقت نفسه أن هذه الاستراتيجية لا تعني مطلقاً أن «هناك نية للخروج نهائياً من البلاد او تعليق العمل فيه». بالنسبة للأخيرة، ما يحصل اليوم في القطاع الصيدلاني «نتيجة حتمية للأزمة الاقتصادية»، وهو ما يشير إليه صراحة المعنيون في القطاع الطبي والصيدلاني، وما هو متوقع أيضاً، بحسب هؤلاء، خصوصاً في ظل الأخذ في الاعتبار سياسة تلك الشركات «التي ترتكز على حسابات الربح والخسارة»، على ما يقول رئيس لجنة الصحة النيابية، عاصم عراجي. وهي معادلة أساسية لدى تلك الشركات. في عز أزمة الدواء، تراجعت أرباح تلك الشركات، وهو ما يدفعها لاتخاذ خيار تقليص وجودها في لبنان، للاهتمام بأسواق أخرى أكثر ضخامة وأهمية. الجانب الأسوأ لهذا القرار يكمن في فقدان موظفين لبنانيين لعملهم في تلك الشركات، وهم الذين يبلغ عددهم نحو 4 آلاف موظف، «إضافة إلى قطاعات أخرى تتأثر بعمل الشركات العالمية، من شركات توزيع ووكلاء، فضلاً عن تمويلها أيضاً للأبحاث السريرية والمختبرات»، على ما تقول حسون.

يعمل في المكاتب التمثيلية لشركات الأدوية العالمية ما يقرب من 4 آلاف موظف

وإذ يعتبر عراجي أن القرارات التي تتخذها بعض الشركات اليوم «متسرعة»، إلا أنه يعرف بأن الوصول إلى هنا كان «طبيعياً». ولئن كان لا يقلّل من شأن ما يحدث، خصوصاً لناحية تمثل الشركات العالمية بمكاتب رئيسية في لبنان، لكنه من الناحية الأخرى «قد تعيد هذه الأمور اليوم النظر في وضعية الشركات المحلية للعمل على تعزيزها»، وهو ما يذهب إليه نقيب الأطباء في بيروت، شرف أبو شرف، معتبراً أنه بقدر ما يحمله هذا الأمر من تبعات سلبية، إلا أنه لا يخلو من «الإيجابية»، لناحية تعديل الإعوجاج في السياسة الصحية «القائمة على البراند بدلاً من الجينيريك على عكس كل بلاد العالم»، يضاف إلى ذلك «قد تكون مناسبة للعمل على دعم الصناعة الوطنية التي لا تشكل اليوم أكثر من 10% من السوق الدوائية في لبنان، والتي يمكن أن تصل مع الدعم إلى 50%».

اعـــــلان

تعلن ادارة واستثمار مرفأ بيروت عن اجراء مناقصة عامة عالمية لإدارة وتشغيل وصيانة محطة المستوعبات في مرفأ بيروت .

على جميع الراغبين في الاشتراك بهذه المناقصة سحب دفتر الشروط الخاص من مصلحة الديوان في المرفأ الطابق الخامس ابتداء من نهار الثلاثاء الواقع في ٢٠٢١/١١/٢٣ وذلك ضمن الدوام النظامي لقاء مبلغ وقدره /١٠،٠٠٠/ (عشرة الاف دولار اميركي) نقداً ، اضافة الى الضريبة على القيمة المضافة (TVA).

ان آخر مهلة لتقديم العروض نهار الجمعة الواقع في ٢٠٢٢/١/٧ الساعة الثانية عشرة ظهراً

علماً بأن دفتر الشروط هذا قد ادرج، للاطلاع عليه، على الموقع الالكتروني الخاص بالإدارة : (www.portdebeyrouth.com) .

ومع الإشارة ايضا الى ان الادارة ستضع بتصرف المشتركين في هذه المناقصة ، غرفة للبيانات المعلوماتية "DATA ROOM" ، حيث يمكنهم الحصول على المعلومات والايضاحات اللازمة.

كما ان تاريخ الاجتماع التوضيحي الأولي PREBID MEETING سيعقد نهار الثلاثاء الواقع في ٢٠٢١/١٢/٧ الساعة العاشرة قبل الظهر في ادارة المرفأ.

كما يمكن لجميع الراغبين في الاشتراك بهذه المناقصة و لمزيد من المعلومات الاتصال بمصلحة الديوان لدى الادارة على احد الرقمين التاليين :

00961-1-587075 و 00961-1-580918

الرئيس المدير العام بالتكليف
عمر عبد الكريم عيتاني

بيروت في ٢٠٢١/١١/١٦

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، أمل الأتحري
■ المدير الصفي: صلاح الموسى
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ للفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل 15 ـ 01/666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

ماذا لو لم يصل محمد بن سلمان إلى العرش أو لم يبقَ فيه طويلاً؟

أسعد أبو خليك *

لو بقيت الأمور على ما هي عليه اليوم، فإن حظوظ وصول محمد بن سلمان إلى العرش هي المُرجّحة. عمل محمد بن سلمان على مدى السنوات الأخيرة لتمهيد الطريق إلى العرش، ومن خلال وسائل لم تكن مألوفة من قبل في أسرة آل سعود. لكن إمكانيّة تعثّر مشروعه، أو إمكانيّة تقصير فترة حكمه ـ لو وصل إلى العرش، واردة بسبب الأساليب العنفيّة التي اتبعها وكلفة الوصول. لم يكن محمد بن سلمان هو أوّل حاكم سعودي يرتكب جرائم أو يقتل معارضين، حتماً لا. النظام السعودي متمرّس في فن تعذيب وقتل المعارضين، ومطاردتهم في بلدان أخرى. نعلم أن ياسر عرفات قبض ثمن خطف ناصر السعيد من بيروت، وهو شارك حتماً في عمليّات أخرى معهم. لكنّ محمد بن سلمان غيّر كثيراً في طبيعة الحكم في السعوديّة، اختلفت معه اتفقت.

العقبات أمام وصول محمد بن سلمان إلى العرش ليست بسيطة. تدرك أن الرجل في ورطة: هو يريد أن يصل إلى العرش بأسرع وقت لكنه يتردّد وينتظر وفاة والده. لكنه لو وصل إلى العرش قبل وفاة والده، لكان حقّق لنفسه مشروعيّة أكبر، خصوصاً أن صعوده السريع خرق كل التقاليد والأعراف في داخل العائلة. يقول بن هبرد، مراسل «نيويورك تايمز» في بيروت في كتابه عن بن سلمان، إن الرجل يضع والدته تحت الإقامة الجبريّة ويمنع والده من رؤيتها. هذه سمات حاكم خائف، والحاكم الخائف يتعثر ويرتكب الكثير من الأخطاء (وهي باتت أكثر من تُحصى). من المنطقي الافتراض أن الملك السعودي هو تحت المراقبة المستمرّة من قبل وليّ العهد، بعد أن وضع أفراد حاشية جداً حوله، وهم يدينون بالولاء المطلق له، لا لأبيه. ومحمد بن سلمان بات قليل التجوال، في المنطقة وفي العالم، لأسباب عديدة لكنّ الخوف من مفاجآت أو انقلابات هو منها. هو لا يستطيع أن يسافر إلى دول الغرب (وهي الوِجهة المُفضّلة عند حكام الخليج) لأن قتل جمال خاشقجي وخطف الحريري وحرب اليمن الوحشيّة كل ذلك جعله حاكماً سيّئ السمعة في نظر الرأي العام الغربي. وهو كان أجّل زيارتين إلى ماليزيا وأندونيسيا قبل سنتيْن لأسباب غير معلنة. هو يستطيع أن يزور بلداناً في الغرب لكن سبب تمنّعه يعود إلى علمه بعداء الرأي العام الغربي له. الإعلام الغربي أفرد مساحات كبيرة لتغطية تفاصيل عمليّة قتل جمال خاشقجي (كان حرياً بإعلام الغرب أن يعطي أخباراً لمعارضين سعوديين وسعوديات ممن لم يفنوا سنوات ـ مثل خاشقجي ـ في خدمة النظام السعودي وأمرائه). يستطيع محمد بن سلمان أن يزور فرنسا (زارها في عام 2018) لكنه يعلم أن الزيارة ستحرّك أوساط اليسار واليساريين هناك بالرغم من احتضان قيادة الأحزاب الفرنسيّة له (كان تملّق الرئيس الاشتراكي الفرنسي، هولاند، له بنفس درجة تملّق وليد جنبلاط له، وإن كان الأخير يسعى جاهداً دوماً لتواصل أكبر مع محمد بن سلمان الذي يبدو أنه لم يُعجب إلا بسمير جعجع بين كل زعماء لبنان).

الرجل فعل الكثير كي يقترب من العرش. هو انقلب ضد محمد بن نايف وفرض على الأخير ضغوطاً وسرّب معلومات مُحرجة وفضائحيّة عنه إلى صحف الغرب. ومحمد بن نايف هو وثيق الصلة بأجهزة استخبارات الغرب لأنه كان متعاوناً وقدّم خدمات جلّى في تعذيب المعتقلين ونيل معلومات كانت دول الغرب تريدها. ولم يكتفِ بن سلمان بذلك، بل هو شنّ حملة ضد أفراد مرموقين في العائلة (بمعايير العائلة) لإبعادهم عن المنافسة. إن غياب المنافسة ضدّه كان نتيجة عملية قسريّة، لا تختلف في المبدأ عن إحكام بشير الجميّل للسيطرة الكلّية في داخل العائلة وفي داخل الحزب وفي قيادة القوّات اللبنانيّة. كانت هناك صراعات في داخل العائلة السعوديّة من قبل، مثل جناح فيصل والسديريّين ضد الملك سعود، لكن حدّة الصراع الحالي واستعمال القوّة المسلّحة لعزل أولاد الجدّ والأعمام سجّلا سابقة خصوصاً في السطو على ثروات اقرباء له، بالإضافة إلى رجال أعمال نافذين في المملكة. كما أن إهمال التراتبية العمريّة والشخصيّة في داخل الأسرة لا يمكن أن يكون قد نال رضى الجميع.

العقبات أمام وصول محمد بن سلمان إلى العرش هي داخليّة وخارجيّة. في الداخل، هناك أولاد العمّ الذين يتحيّنون الفرصة للانقضاض عليه، والانقضاض عليه سيكون عنيفاً ووحشيّاً لأن المعركة ضدّه لن تكون مثل انقلاب فيصل وفهد ضدّ الملك سعود. وهناك رجال الأعمال والمصالح المتضرّرة من حكمه، وهي تضمّ ـ وهذا الأخطر بالنسبة إليه ـ رجال الدين التقليديّين المتمرّسين في العقيدة الوهّابية والذين برون في «إصلاحات» محمد بن سلمان حياداً عن الدين الحنيف (عند دعاة الوهابيّة، ليس هناك من عقيدة أو مذاهب إسلاميّة، بل هناك الدين الحقيقي وهو، طبعاً، الوهّابيّة لا غيرها). كل هذا اللوبي الداخلي يريد الانقضاض على محمد بن سلمان متى أتيحت له الفرصة، ولأسباب متنوّعة. رجال الأعمال وأولاد العموم قد يفضّلون الابتعاد عن التزمّت الاجتماعي الذي كان سائداً، لكن رجال الدين يفضّلون الوقوف إلى ما كان يُدرّس على أنه الإسلام الحقيقي بلا بدع. لكن هل تتفق كل هذه الأجنحة المتساءة للإطاحة بالحاكم؟

أما العقبات الخارجيّة فمحمد بن سلمان يسعى إلى تلافيها. هو، مثل محمد بن زايد ومحمد بن راشد، يستعين بشركات علاقات عامّة غربيّة تقدّم له النصح لتغيير صورته في الغرب. وكل ما يُسمّى إصلاحات في المملكة، ليس إلا بنات أفكار شركات غربيّة تهدف إلى تغيير صورة الحاكم المُستبدّ. هم الذين نصحوا بالسماح لقيادة المرأة للسيارة والحدّ من سلطة الشرطة الدينيّة وفتح أبواب الترفيه الممتدل على مصراعيه. والـ«فايننشال تايمز» أشارت إلى امتعاض محمد بن سلمان الشديد من بايدن لأن الأخير يرفض أن يتحدّث معه مباشرة (أرسل بايدن إليه مستشاره لشؤون الأمن القومي، جيك سالبفان، لكن الأخير رفض التقاط صورة تذكاريّة للقاء). وعندما أجرى بايدن اتصاله الأوّل مع الملك سلمان فإنه اصرّ على الديوان الملكي ألّا يكون ابنه حاضراً (طبعاً، من المؤكد أن محمد بن سلمان كان حاضراً). وهناك حديث في الصحافة الغربيّة عن استمرار أسعار النفط ليس إلا نتيجة سلوك أرعن من قبل محمد بن سلمان لمعاقبة بايدن على احتقاره له. وارتفاع أسعار النفط مسؤول عن حالة التضخّم التي أصابت الاقتصاد الأميركي، وأثّرت سلباً على شعبية جو بايدن. صحيح أن بايدن نكث وعده بمعاقبة محمد بن سلمان، لا بل هو عزّز العلاقة بين الإدارة الأميركيّة والنظام السعودي، وها هو يعلن عن صفقة سلاح جديدة. وصفقات السلاح هي من أسهل الطرق لوصول مُستبدّي النفط والغاز إلى قلب أي إدارة أميركيّة (علمنا أخيراً من الصحف هنا أن محمد بن سلمان كان يفاوض إدارة ترامب على شروط إعلانه للعلاقة مع إسرائيل. كان محتماً أن يعلن النظام السعودي ذلك لو أعيد انتخاب ترامب لولاية ثانية). وقد يسعى محمد بن سلمان إلى إعلان العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل للتقرّب من بايدن (أميركا تغفر أي جريمة غير، أي اغتيال وأي استبداد عربي مهما كان فظيعاً مقابل سلام مع إسرائيل).

لكن ماذا لو نجح انقلاب عائلي ضد محمد بن سلمان؟ ماذا سيحلّ بالمنطقة عندها؟ تستطيع أن تتخيّل حجم النفاق لو جرى ذلك. أتوقّع أن يسارع ممتهنون وممتهنات (ضروري التأنيث لأن إعلاميات وفنانات لبنان بنَوْن براعة الرجال في التملّق إلى مستبدّي التطبيع في الخليج) إلى تبديل المواقف بسرعة هائلة. أستطيع أن أتوقّع أن يعقد سعد الحريري مؤتمراً صحافياً غداة نجاح الانقلاب ليروي فيه بالتفاصيل المملّة، وعيناه مغرورقتان بالدموع، ظروف اعتقاله (وربطه وركله وصفعه وإهانته) في الرياض. سيعلن الحريري باكياً أن بن سلمان الاستقالة أعدّ له من دون موافقته، وأنه قرأه من دون مراجعته. قد يعترف الحريري أن بولا يعقوبيان كانت متعاونة مع خاطفيه في الغرب. وكل ما يُسمّى إصلاحات في المملكة، ليس إلا بنات أفكار شركات غربيّة تهدف إلى تغيير صورة الحاكم المُستبدّ. هم الذين نصحوا بالسماح لقيادة المرأة للسيارة والحدّ من سلطة الشرطة الدينيّة وفتح أبواب الترفيه الممتدل على مصراعيه. والـ«فايننشال تايمز» أشارت إلى امتعاض محمد بن سلمان الشديد من بايدن لأن الأخير يرفض أن يتحدّث معه مباشرة (أرسل بايدن إليه مستشاره لشؤون الأمن القومي، جيك سالبفان، لكن الأخير رفض التقاط صورة تذكاريّة للقاء). وعندما أجرى بايدن اتصاله الأوّل مع الملك سلمان فإنه اصرّ على الديوان الملكي ألّا يكون ابنه حاضراً (طبعاً، من المؤكد أن محمد بن سلمان كان حاضراً). وهناك حديث في الصحافة الغربيّة عن استمرار أسعار النفط ليس إلا نتيجة سلوك أرعن من قبل محمد بن سلمان لمعاقبة بايدن على احتقاره له. وارتفاع أسعار النفط مسؤول عن حالة التضخّم التي أصابت الاقتصاد الأميركي، وأثّرت سلباً على شعبية جو بايدن. صحيح أن بايدن نكث وعده بمعاقبة محمد بن سلمان، لا بل هو عزّز العلاقة بين الإدارة الأميركيّة والنظام السعودي، وها هو يعلن عن صفقة سلاح جديدة. وصفقات السلاح هي من أسهل الطرق لوصول مُستبدّي النفط والغاز إلى قلب أي إدارة أميركيّة (علمنا أخيراً من الصحف هنا أن محمد بن سلمان كان يفاوض إدارة ترامب على شروط إعلانه للعلاقة مع إسرائيل. كان محتماً أن يعلن النظام السعودي ذلك لو أعيد انتخاب ترامب لولاية ثانية). وقد يسعى محمد بن سلمان إلى إعلان العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل للتقرّب من بايدن (أميركا تغفر أي جريمة غير، أي اغتيال وأي استبداد عربي مهما كان فظيعاً مقابل سلام مع إسرائيل).

لكن ماذا لو نجح انقلاب عائلي ضد محمد بن سلمان؟ ماذا سيحلّ بالمنطقة عندها؟ تستطيع أن تتخيّل حجم النفاق لو جرى ذلك. أتوقّع أن يسارع ممتهنون وممتهنات (ضروري التأنيث لأن إعلاميات وفنانات لبنان بنَوْن براعة الرجال في التملّق إلى مستبدّي التطبيع في الخليج) إلى تبديل المواقف بسرعة هائلة. أستطيع أن أتوقّع أن يعقد سعد الحريري مؤتمراً صحافياً غداة نجاح الانقلاب ليروي فيه بالتفاصيل المملّة، وعيناه مغرورقتان بالدموع، ظروف اعتقاله (وربطه وركله وصفعه وإهانته) في الرياض. سيعلن الحريري باكياً أن بن سلمان الاستقالة أعدّ له من دون موافقته، وأنه قرأه من دون مراجعته. قد يعترف الحريري أن بولا يعقوبيان كانت متعاونة مع خاطفيه في الغرب. وكل ما يُسمّى إصلاحات في المملكة، ليس إلا بنات أفكار شركات غربيّة تهدف إلى تغيير صورة الحاكم المُستبدّ. هم الذين نصحوا بالسماح لقيادة المرأة للسيارة والحدّ من سلطة الشرطة الدينيّة وفتح أبواب الترفيه الممتدل على مصراعيه. والـ«فايننشال تايمز» أشارت إلى امتعاض محمد بن سلمان الشديد من بايدن لأن الأخير يرفض أن يتحدّث معه مباشرة (أرسل بايدن إليه مستشاره لشؤون الأمن القومي، جيك سالبفان، لكن الأخير رفض التقاط صورة تذكاريّة للقاء). وعندما أجرى بايدن اتصاله الأوّل مع الملك سلمان فإنه اصرّ على الديوان الملكي ألّا يكون ابنه حاضراً (طبعاً، من المؤكد أن محمد بن سلمان كان حاضراً). وهناك حديث في الصحافة الغربيّة عن استمرار أسعار النفط ليس إلا نتيجة سلوك أرعن من قبل محمد بن سلمان لمعاقبة بايدن على احتقاره له. وارتفاع أسعار النفط مسؤول عن حالة التضخّم التي أصابت الاقتصاد الأميركي، وأثّرت سلباً على شعبية جو بايدن. صحيح أن بايدن نكث وعده بمعاقبة محمد بن سلمان، لا بل هو عزّز العلاقة بين الإدارة الأميركيّة والنظام السعودي، وها هو يعلن

شروف امين (الكويت)

يستطيع محمد بن سلمان أن يضمن وصوله إلى العرش إذا لبّى شروط واشنطن التي لا تنحصر بالتطبيع، وأوّلها الإفراج عن محمد بن نايف، ولو نفّذ كل تلك الشروط، سيضعف حكمه

إلى خدماته الجلّى في مجال البروباغندا لمصلحة النظام) حادّ عن الإسلام القويم، وأنه الحق فيرراً كبيراً بالأمة الإسلاميّة. أتخيّل رضوان السيّد، السريع التكيّف، وهو يظهر على شاشة «العربيّة» كي يكيل المديح إلى الحاكم الجديد ويذمّ بالحاكم السابق. رضوان السيّد سيُكلّف بإعداد كتاب عن فظائع محمد بن سلمان وسيكتب فؤاد السنيورة مقدّمة خاصّة للكتاب. لو عجز محمد بن سلمان عن الوصول إلى العرش، أو لو أطيح به سريعاً، فإن أقرب الناس إليه وعتاة المُروّجين لحكمه اليوم سيكونون أوّل من يدينه. عندها، وعندها فقط، سيروي لنا الوليد بن طلال عن ظروف احتجازه وإذلاله (لا يزال الإذلال الذي تعرّض له الوليد بادياً على محيّاه، هذا الذي كان معروفاً بعنجهيّته وتكبّره وصلفه، والذي كان يستأجر آقرّاماً كي يلهو بمشاهد تحرّكهم أمامه على طريقة حكّام القرون الوسطى في أوروبا). حتى سمير جعجع، الأداة المنفّذة والمفضلة لمحمد بن سلمان في لبنان، سيصدر بيان إدانة ضدّه وبعلن ولاءه للحاكم الجديد.

عندها فقط، سنُخبرنا بولا يعقوبيان أنها لم تصارح الشعب اللبناني ـ كي نستعمل كلمة مشذّبة هنا ـ في كلامها عن ظروف اعتقال سعد الحريري. لكن بولا طارت على متن طائرة خاصة أرسلها السيهان لها في اتفاق مع تغطية لمؤامرة اعتقال الحريري. ستجد صعوبة في إقناعنا بأنها صعدت إلى الطائرة في بيروت مكرهةً. عندها، سنسمع من كل الفنّانين والإعلاميّين اللبنانيّين في بيروت ـ دبي وسيندّد كل هؤلاء بحكم محمد بن سلمان وسيصفونه بأبشع النعوت، وسيزعم كل هؤلاء أنهم ما سجدوا وأثنوا على المستبدّ في الرياض إلا بالإكراه وأنهم حزنوا كثير الحزن على ضحايا النظام السعودي لكن لم يقووا على النطق في حينه. كل هؤلاء سينكرون إعجابهم السابق والمفروض بالمستبدّ السابق وسيعلنون ولاءهم للمُستبدّ الجديد: مات المُستبدّ، عاش المستبدّ خالداً مُفدّى. كل هؤلاء الذين أفرطوا على المواقع في التنافس لنيل رضى تركي الشيخ سيكتشفون بعد رحيله فظاظته ورعونته وخشونته.

وانعكاسات رحيل محمد بن سلمان ستصيب كل العالم العربي. سينسحب الحاكم الجديد من اليمن ويعلن مسؤوليّة سلفه عن الحرب المدمّرة وسيعلن أن سوء علاقة الحكم مع لبنان كان من صنيعة الراحل. لن تصبح المملكة السعوديّة متنوّرة في الحكم الجديد، إذا افترضنا أن الحكم سيبقى في داخل العائلة الواحدة. وستستمرّ سياسات شراء الأسلحة الأميركيّة وإرضاء الراعي الكبير.

شروط تفرضها عليه واشنطن، ولا تنحصر بالتطبيع. قد يكون الثمن باهظاً أكثر. ولو نفّذ محمد بن سلمان كل تلك الشروط، فإنه يمكن أن يضعف حكمه لأن الإفراج عن محمد بن نايف سيكون أوّل شروط الإدارة الأميركيّة (وقد طالبت واشنطن في إدارة بايدن بالإفراج عنه وذلك تعبيراً عن الجميل الذي تحمله واشنطن له لما أدّاه من خدمات سابقة). وحكم محمد بن سلمان بات مرتبطاً بحالة من الترهيب التي يفرضها على أفراد الأسرة الحاكمة وعلى نخبة الاقتصاد والأعمال وعلى المجتمع بأسره. ولو تراخى حكم محمد بن سلمان (وهذه صعبة عليه لأن طبيعة حكمه باتت متلازمة بفرض حالة من الترهيب والإرهاب والقمع والقسر لم تشهده المملكة من قبل ـ وهذا يسري أيضاً على النظام الإماراتي الذي ما كان ممكناً أن يفرض فيه هذه الحرب على الإخوان والحركات الإسلاميّة والتطبيع الوقح من دون فرض حالة قمع قاسية) لضعف وضعه في قمّة السلطة، ستتغيّر المنطقة العربيّة برمّتها لو لم يتسنّ لمحمد بن سلمان الحكم في المملكة. الكثير يعوّل عليه (من شركات الأسلحة إلى زعامات نشرها في لبنان وفي غيره) والكثير يتمنّى له العزل، خصوصاً خصومه في داخل الأسرة الحاكمة. كان هناك نوع من قيادة جماعية تصالحيّة توافقيّة على الأقل بين نخبة الأسرة. محمد بن سلمان دشّن لحكم الفرد الواحد في داخل المملكة وهذا يزيد من الحاجة إلى الاستبداد كما أنه يضيّق قاعدة الحكم. وتضييق قاعدة الحكم يزيد من الحاجة إلى القمع والمعاقبة والعنف. لكن قدرة محمد بن سلمان على استعمال العنف المفرط ـ حسب لغة الدبلوماسية الأميركية ـ تقلّصت بعد افتضاح أمره في قتل خاشقجي واختطاف الحريري وحرب اليمن الوحشيّة التي أمرته إدارة بايدن بوقفها وإن هي تتبع معه طول الأناة والصبر الشديد، طمعاً بخفض أسعار النفط وشراء المزيد من الأسلحة الأميركيّة.

من منا لا يستطيع أن يتخيّل مواقع التواصل الاجتماعي لو أن محمد بن سلمان لا يصل إلى العرش. موقع «درج» قبل أيام سخر من الغناء للحاكم في سوريا وذكّر بصدّام. قال إن الغناء للحاكم ليس إلا سمة من النظام البعثي. لكن بعد أن وضع البوسات على إستاغرام أضاف على تويتر أن الغناء للحاكم هو سمة لـ «الخليج» أيضاً. استدرك في تذكّر ذلك، نسبها. في حالة الخليج ليس هناك من تسمية للحاكم عندهم. عند مواقع التمويل الغربي لا يجوز تسمية المُستبدّ خارج النظامين البعثيّين لأن أنظمة الخليج يجب أن تبقى خارج التقييم والتصنيف لما تؤدّيه من خدمات لدول الغرب. منظّمة سمير قصير لحريّة الصحافة تجاهلت بالكامل الحرب السعوديّة ـ الإماراتيّة على حريّة التعبير في لبنان، لكن للأمانة هي قرّرت منذ أول تمويل أن تبقى منطقة الخليج خارج نطاق عملها وتقييمها ورصدها كي تتفرّغ لرصد خرق حقوق الإنسان وحريّة التعبير في دولة عربيّة واحدة فقط. لو أن محمد بن سلمان خرج من الحكم لضجّت كل هذه المواقع بالتأييد والإدانة ضدّه وضد طبيعة نظام حكمه. عندها، لا يعود صف الإعلاميّين والفنانين اللبنانيّين في دبي ـ بيروت بحالة للتذلّل والتملّق إلى تركي الشيخ. بعدها سيتملّقون إلى غيره في الحكم الجديد. لو أن محمد بن سلمان خرج من الحكم سيكتب غسان شربل مرثية إنشائيّة جميلة عن جمال خاشقجي، زميله وصديقه (وكان شربل قد نسب أخباراً في حينه عن قتل محمد بن سلمان لصديقه وزميله إلى مؤامرة خارجيّة تهدف إلى النيل من سمعة المملكة العطرة التي لم تشبها شائبة قبل خبر قتل وتقطيع جثّة خاشقجي). محمد بن سلمان يقترب من العرش، والليلة التي تتقرّر فيها الخلافة يوم موت الملك السعودي ستتطلّب تدخّلاً أميركياً مباشراً. وأميركا تفضّل حاكماً غير محمد بن سلمان لكن هي لا تريد أن يخرج عن سيطرتها لو تسنّى له الحكم. ستبارك له لو وصل، وستعينه لو تثبّت في العرش. والولاء من الإعلاميّين والمثقّفين والفنانين العرب للحاكم مطلق ودائم ـ إلى أن يأتي غيره مكانه. عندها، إعلانات الطاعة والتوبة ستتوالى.

* كاتب عربي ـ حسابه على تويتر @asadabukhalil

لكن مسار التطبيع الذي بداه ودشّنه محمد بن سلمان (لم تنشر الصحافة العبريّة ما تسرّب عن اجتماع نتنياهو برفقة بومبيو، في آخر عهد ترامب، مع محمد بن سلمان)، يمكن أن يتوقّف. من عادة «العبريّة» كي يكيل المديح إلى الحاكم الجديد ويذمّ بالحاكم السابق. رضوان السيّد سيُكلّف بإعداد كتاب عن فظائع محمد بن سلمان وسيكتب فؤاد السنيورة مقدّمة خاصّة للكتاب. لو عجز محمد بن سلمان عن الوصول إلى العرش، أو لو أطيح به سريعاً، فإن أقرب الناس إليه وعتاة المُروّجين لحكمه اليوم سيكونون أوّل من يدينه. عندها، وعندها فقط، سيروي لنا الوليد بن طلال عن ظروف احتجازه وإذلاله (لا يزال الإذلال الذي تعرّض له الوليد بادياً على محيّاه، هذا الذي كان معروفاً بعنجهيّته وتكبّره وصلفه، والذي كان يستأجر آقرّاماً كي يلهو بمشاهد تحرّكهم أمامه على طريقة حكّام القرون الوسطى في أوروبا). حتى سمير جعجع، الأداة المنفّذة والمفضلة لمحمد بن سلمان في لبنان، سيصدر بيان إدانة ضدّه وبعلن ولاءه للحاكم الجديد.

عندها فقط، سنُخبرنا بولا يعقوبيان أنها لم تصارح الشعب اللبناني ـ كي نستعمل كلمة مشذّبة هنا ـ في كلامها عن ظروف اعتقال سعد الحريري. لكن بولا طارت على متن طائرة خاصة أرسلها السيهان لها في اتفاق مع تغطية لمؤامرة اعتقال الحريري. ستجد صعوبة في إقناعنا بأنها صعدت إلى الطائرة في بيروت مكرهةً. عندها، سنسمع من كل الفنّانين والإعلاميّين اللبنانيّين في بيروت ـ دبي وسيندّد كل هؤلاء بحكم محمد بن سلمان وسيصفونه بأبشع النعوت، وسيزعم كل هؤلاء أنهم ما سجدوا وأثنوا على المستبدّ في الرياض إلا بالإكراه وأنهم حزنوا كثير الحزن على ضحايا النظام السعودي لكن لم يقووا على النطق في حينه. كل هؤلاء سينكرون إعجابهم السابق والمفروض بالمستبدّ السابق وسيعلنون ولاءهم للمُستبدّ الجديد: مات المُستبدّ، عاش المستبدّ خالداً مُفدّى. كل هؤلاء الذين أفرطوا على المواقع في التنافس لنيل رضى تركي الشيخ سيكتشفون بعد رحيله فظاظته ورعونته وخشونته.

وانعكاسات رحيل محمد بن سلمان ستصيب كل العالم العربي. سينسحب الحاكم الجديد من اليمن ويعلن مسؤوليّة سلفه عن الحرب المدمّرة وسيعلن أن سوء علاقة الحكم مع لبنان كان من صنيعة الراحل. لن تصبح المملكة السعوديّة متنوّرة في الحكم الجديد، إذا افترضنا أن الحكم سيبقى في داخل العائلة الواحدة. وستستمرّ سياسات شراء الأسلحة الأميركيّة وإرضاء الراعي الكبير.

«دين إبراهيمي» أم خدعة استعماريّة؟

نايف سلوم *

إِيَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (65) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67) [آل عمران]

ثمّة زعمٌ لاقى نصيباً من الرواج في «الغرب»، ومؤدّاه أن لا فلسفة ولا تصوّف (ولا غنوص) في القرآن، وأنّ الفلاسفة والمتصوّفين لا يدينون للقرآن بشيء. لقد انضم القرآن إلى الديانات الكتابية (اليهود، النصارى، الزرادشتيون المجوس، الصابئة): صابئة القرآن لا صابئة حرّان وهم الذين يقول فيهم هنري كوربان: «أما الذين تسمّوا بصابئة حرّان فكانوا أقل حظاً».

للزرادشتية ـ المجوسية كتاب الابستاق Avesta كتاب زرادشت (الكتاب الأول) وشرحه (الكتاب الثاني مثنا) الزيندا أفيستا zenda avesta وهذا مشابه للتوراة (تناخ) وشروحه في التلمود (مشنا) البابلي والفلسطيني (كتاب أول وكتاب ثان للشرح)، ما يمكن مقارنته مع القرآن والحديث.

ثمّة بعض الأمور المشتركة في المسائل التي طرحها البحث عن المعنى الحقيقي (غنوص) باعتباره المعنى الروحي الباطني في المسيحية وفي الإسلام، في تفسير الأناجيل وفي تفسير القرآن على التوالي. ولكن تبقى بين الفريقَين بعض الاختلافات العميقة (هو اختلاف بين مسيحيّة رسمية مكرّسة متواطئة مع الإمبراطورية الغربية، وإسلام متمرّد (غنوصي الطابع) يطمح لبناء دولة من طراز جديد على درب الاسكندر المقدوني. في تسلُّم لكامل التراث الغنوصي العالمي اعتباراً من زرادشت مروراً بهيراقليطس وأفلاطون وأرسطو وسقراط والرواقية وفيلون الاسكندري والفيثاغورية المحدثة والهرمسية وأفلوطين وتلامذته العظام.

يمكن أن يكون بين الجهل العلمي والمعرفة (الغنوص) تدرّج كامل، رُبّما أوصلتنا إلى كثرة من المعاني الروحية. «العلم» بالمعنى التجريبي هو المعنى غير الروحي (هنا لا يوجد اشتراط الإيمان ولا اشتراط الربط على القلب) والغنوص هو المعنى والمآل الروحي لكمال العلم الذي (استحال) إيماناً، وبالتالي وجد تكملته العملية التاريخية- الاجتماعية السياسية. «إن تعيين المعنى الروحي على أنّه غاية نريد بلوغها، يتضمن إضماراً مفاده أن ثمة معنى ليس بالمعنى الروحي، وأنّه يمكن أن يكون بين هذا وذاك تدرّج كامل رُبّما أوصلنا في النهاية إلى كثرة من المعاني الروحية»، وهكذا نفهم وجود أنبياء صغار وأنبياء كبار لدى اليهود.

يقول كوربان: أول ما تقتضي الإشارة إليه هو غياب ظاهرة الكنيسة في الإسلام، وعدم وجود أكليروس يتسلّط على وسائل النعمة، فليس في الإسلام جمود عقائدي ولا سلطة حَبْريّة ولا مجمع (مؤتمر) يحدد العقائد(رغم بعض المحاولات كروابط علماء المسلمين وغيرها كالأزهر في مصر)، على عكس ما حدث للمسيحية، من هنا تمرّد الإسلام على كل سلطة دينية تعمل على احتكار التأويل: (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)[آل عمران:7] فقد حلّ الجمود العقائدي في المسيحية منذ أن كُبحت وكبتت الحركة المونتانية في القرن الثاني للميلاد، محل الإلهام النبوي، ومحل التأويل الروحي بشكل عام. من جهة ثانية إنّ تفتّح ونهضة الوعي المسيحي يعتبر إعلاناً ليقظة الوعي التاريخي في المسيحية. ولقد تركّز الفكر المسيحي على أمر حدث في السنة الأولى للميلاد. لقد سجّل التجسّد الإلهي دخول الله في التاريخ، فأصبح كل ما ينقله الوعي الديني نتيجة لذلك (الدين التاريخي) وعياً تاريخياً متمثّلاً بمعنى النص، وهو المعنى الحقيقي للكتابات المقدسة، أو الفكر المؤسّس. وقد خلطت الكنيسة المكرّسة الرسمية هذا التاريخ الإلهي المؤسّس، بالتاريخ الدنيوي للإمبراطورية، وحوّلت الدين الاجتماعي - التاريخي (ديانات الأنبياء) إلى دين وظيفي في خدمة السلطات القائمة.

سيكون لنا أن نتساءل إلى أيّ حد كانت ظاهرة الكنيسة في أشكالها الرسمية على الأقل، شريكة في تسلّط الملكة الوظيفية النفعية (الدنيوية الإمبراطورية) للدين «التاريخي»، وفي تسلُّط المعنى الحَرْفيّ للنصوص: «وظيفية» قائمة على انحطاط الإمبراطوريات الغربية اليونانية - الرومانية والذي أدّى إلى الخلط ما بين الاستعارة من جهة وبين الرمز والكناية والتمثيل من جهة أخرى.

في هذا التسلُّط ظهر كما لو كان البحث عن المعنى الروحاني ضرباً من المجازفة (الهرطقة)، في حين أن الأمر يختلف تماماً. فالاستعارة نظرة مسالمة تشبيهية، في حين أن المعنى الروحاني يمكن أن يكون ثورياً، وعلى هذا فقد استمر التفسير الروحاني الباطني الغنوصي وتجدّد على هامش الكنيسة الرسمية في الصيغ الروحانية الغنوصية المتنوعة. فثمة أمر مشترك بين النمط الذي يفهم به واحد مثل (بوهم) أو (سويدنبرغ) سفر «التكوين» و «الخروج» أو (الرؤيا الأبوكاليبسية [القيامَيّة]) والنمط الذي يفهم به الشيعة الإسماعيليون والشيعة الإثنا عشريون أو حكماء الصوفية الإلهيون من مدرسة ابن عربي، القرآن ومجمل السنن التي توضّح هذا النوع. وهذا الأمر المشترك هو تلك النظرة التي تتنضد فيها عدة تصاميم للكون وكثرة من العوالم التي يتماثل بعضها مع البعض الآخر.

باعتبار الإسلام متمّم للعهد الذي جاء به عيسى (الغنوص النصراني) ومؤسّس دولة جديدة للعرب كذرية حاملة لعهد الإسلام (إلّه) فهو يركّز على واقعة تأسيسية ما وراء، الزمن، يركّز على عملية الخلق والتكوين. (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ) [الأعراف:11]

لا يتركّز الوعي الديني في الإسلام على واقعة من التاريخ الدنيوي، وإنّما على واقعة ممّا وراء التاريخ. ليست واقعة تاريخية بعدية وإنّما هي واقعة «تاريخية» تخيّلية تأسيسيّة. وهذه الواقعة الأولية (البدئية) التي تتقدم تاريخنا التجريبي زمنياً، هي ذلك التساؤل الإلهي الذي يطرحه الله على أرواح الناس الذين سبقوا العالم الأرضي في الوجود (ألستُ بربكم؟) [الأعراف:17] والموافقة الجذلى التي تجيب على ذلك السؤال تقيم ميثاقاً أبدياً من الأمانة. وذلك ما يُسمّيه الإمام أبو حنيفة النعمان «بميثاق عالم الذّر» [أو عالم الأظلة وبداية الحلقات السريّة] فهو يُفسّر الآية (172) من سورة الأعراف هذه: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ). وما مجيء الأنبياء وتناوبهم في تسلّم الوحي (وحي أسلافهم) من حقبة إلى حقبة، وتعاقبهم في دورة النبوة إلا للتذكير بالأمانة التي قُطعت لهذا العهد.

يدلّ النص بمعناه التاريخي على الفعل، فإذا كان مجازياً دلّ على الأفكار والمعتقدات وإذا كان أخلاقياً دلّ على الأعمال وإذا كان صوفيّاً دلّ على الآمال. هو نظرية وممارسة (حكمة نظر

العراق

انسداد طريق التوافق
خصوم الصدر يتكتّلون: لا حكومة أغلبية من دوننا

في ظلّ إصرار مقتدى الصدر على تشكيل حكومة أغلبية تنهي زمن الحكومات التوافقية، يصبّ التحالف المناهض له، والمتمثّل في «الإطار التنسيقي»، جهوده على منع زعيم «التيار الصدري» من تحقيق رغبته. وفي هذا السياق، تحشد القوى المُشكّلة للإطار المذكور، بقيادة نوري المالكي، لتكوين كتلة حاكمة، يكون بالإمكان تقديمها في البرلمان بوصفها «الكتلة الأكبر» - بعد أن تُحسم نتائج الانتخابات بصورة نهائية -، التي يمكنها بالتالي تولّي مهمّة تشكيل الحكومة. ويستفيد معارضو الصدر، في مسعاهم ذاك، من رفض «الثنتَة» و«الكراد» - إلى الآن - الانضمام إلى أيّ ائتلاف لا يقوم على «توافق شيعي»، فيما باتت مطروحاً، بقوّة، على ضوء ما تقدّم، انتقال زعيم «الصدريين»، وحيداً إلى صفّ المعارضة

بغداد - **أشرف كريم**

حتى خلال أشدّ الأزمات السياسية قساوة في العراق طيلة 16 عاماً، عندما كانت القوى التقليدية عاجزة عن تأمين حلول لبعض الإخفاقات السياسية عن طريق الأسس الدستورية، أو كان غير ممكن التوصّل إلى معادلة توافقية تنهي حال التشنّج، لم يصل الانسداد السياسي إلى مثل ما يقيم عليه حالياً، فالعام 2021، بحيثيات انتخاباته المبكرة، يبدو مختلفاً عن السنين السابقة، في ظلّ انقسام «الصفّ الشيعي»، الذي بات طرفاه يؤمنان بمشروعَين مختلفَين: أحدهما يرى في التوافق مخرجاً من الأزمة مما يمهّد لتشكيل حكومة جديدة تخلف فريق مصطفى الكاظمي، والآخر يريد حُكم أغلبية تقابله معارضة. المنادون بالمخرج الأول هم أطراف «الإطار التنسيقي» الذي يضمّ «تحالف الفتح» بزعامة هادي العامري، و«ائتلاف دولة القانون» برئاسة نوري المالكي، و«عصائب أهل الحق» بأمانتها المتمثّلة بالشيخ قيس الخزعلي، و«حركة عطاء» برئاسة فالح الفيّاض، فضلاً عن عمار الحكيم وحيدر العبادي. لكن هذا الفريق يصطدم برغبة «التيار الصدري» - بقيادة مقتدى الصدر - المعلنة في تشكيل حكومة أغلبية وطنية أو اللجوء إلى خيار المعارضة السياسية. موقف جدّده الصدر أوّل من أمس، حين دعا في مؤتمر صحافي ما سمّاها بـ«القوى الخاسرة» إلى حلّ الفصائل دفعة واحدة، وتسليم سلاحها إلى القائد العام للقوات المسلّحة (أتبع ذلك أمس بإعلانه حلّ لواء «اليوم الموعود»، وغلْق مقارّه بالكامل، وإمهال مقاتليه 48 ساعة لتسليم سلاحهم)، من دون أن ينسى أن يوجّه إلى «الإطار التنسيقي» إشارات سياسية، منها قوله إنه «يجب أن لا تكون خسارتكم سبباً لإنهاء وخراب العملية الديموقراطية في العراق حالياً ومستقبلاً». وهو ما فسّره مصدر سياسي تحدّث إلى «الأخبار» بأن «الصدر أراد بهذه الكلمات أن تصطفّ قوى الإطار خلفه، باعتباره المنتصر في الانتخابات الأخيرة.

قرأ «الإطار التنسيقي» في مواقف الصدر دعوة إلى الاصطفاف خلفه (أ ف ب)

لكن بعض أطراف الإطار تتحفّظ على شخصه وإدائه السياسي، ما يجعل موقف توحيد الصف الشيعي أكثر تعقيداً».

وردّاً على ما أعلنه الصدر، التأم «الإطار التنسيقي» في منزل رئيس «تيار الحكمة الوطني»، عمار الحكيم، في منطقة الجادرية وسط بغداد، بحضور أطراف الإطار كافة، إضافة إلى ممثّلة الأمين العام للأمم المتحدة في العراق، جينين بلاسخارت. وأفاد مصدر مطّلع، «الأخبار»، بأن الاجتماع استمرّ 3 ساعات، وحضره أمين عام «كتائب حزب الله» أبو حسين الحميداوي، وجرى خلاله استعراض ما سمّاها المجتمعون «أدلّة التزوير والتلاعب بنتائج الانتخابات كافة»، فضلاً عن تقديم بيانات تثبت «تحريف عملية التصويت الإلكتروني لصالح جهات وقوائم انتخابية محدّدة». وأضاف «الأدلّة»، وتعهّدت بعقد اجتماع مع رئيسَي الجمهورية برهم صالح والحكومة مصطفى الكاظمي، من أجل معالجة الموضوع. كذلك، وجّهت بعض الزعامات الحاضرة، من مِثل هادي العامري ونوري المالكي، اتهامات إلى بلاسخارت بالانحياز لصالح ما سمّوه «فريق تزوير الانتخابات»، في حين أبلغ بعض الموجودين الممثّلة الأممية بأن استعجال مجلس الأمن مباركة الانتخابات دليل على «وجود مؤامرة دولية للتزوير».

هذا التصعيد سبقه اجتماع لبرهم صالح والكاظمي ورئيس مجلس القضاء الأعلى فائق زيدان، انتهى إلى إطلاق مبادرة وطنية تجمع القوى السياسية كافة، من أجل الوصول إلى صيغة اتفاق لحلّ الأزمة الراهنة بالأطر القانونية والدستورية. لكن الإشارات الواردة إلى الآن، تؤكد أنه من الصعب ترجيح كفّة التوافق على الأغلبية في المرحلة المقبلة، خصوصاً أن «التيار الصدري» قد يدفع باتجاه التنازل عن بعض المسائل السياسية للقوى «الكردية» و«السُنّية» مقابل المُضيّ في تشكيل الحكومة الجديدة. مع ذلك، فإن موقف الصفّين «السُنّي» و«الكردي» بات واضحاً بعدم المضيّ في اتجاه اختيار رئيس وزراء لا يحظى بالتوافق «الشيعي»، وهذا ما يقود إلى استنتاج بأن الصدر قد يذهب إلى المعارضة وحيداً، مع إمكانية الاحتفاظ بمنصب الأمين العام لمجلس الوزراء، إذا بقي «الكرد» و«السُنّة» مصرّين على موقفهم من شخصية رئيس الحكومة الجديدة والية اختياره بالتوافق.

المالكي يهندس «الكتلة الأكبر»: العرش قبل النقش

بغداد - **سَرى جيّاد**

من وجهة نظر «ائتلاف دولة القانون»، ثمّة خياران متاحان لتشكيل الحكومة العراقية التي تنتظر المشاوراتُ بشأنها، تحديداً «الكتلة الأكبر» في البرلمان: الأوّل هو تشكيل حكومة توافقية بالمشاركة مع «التيار الصدري»، والثاني، إذا تعذّر الأول، هو تشكيل حكومة من قِبَل «الإطار التنسيقي» الشيعي وكتل

لا توجد مشاورات حول تشكيل الحكومة، بقدر وجود مشاورات حول الكتلة الأكبر

من المجموعات العراقية الأخرى، أي ما يسمّى «حكومة أغلبية»، لكن ليس من قِبَل «التيار الصدري» الذي أظهرت النتائج الأولية فوزه بـ73 مقعداً في البرلمان المكوَّن من 329 مقعداً، إنّما من قِبَل خصومه. تُذكّر وجهة النظر هذه، التي فنّدها في حديث إلى «الأخبار» القيادي البارز في «ائتلاف دولة القانون» حيدر اللامي، بالمعركة التي خاضها رئيس الائتلاف، نوري المالكي، في عام 2010، حين فاز تحالف يقوده إياد علاوي بفارق نائب واحد بالمرتبة الأولى في الانتخابات، لكن التكتّلات البرلمانية بعد ذلك، أوصلت المالكي إلى سدّة رئاسة الوزراء.

اليوم، يتحالف المالكي، الذي حاز 37 مقعداً في الانتخابات الأخيرة، مع كتل «شيعية» أخرى لمنع «التيّار الصدري» من تشكيل حكومة أغلبية، طارحاً نفسه في المقابل مرشّحاً لمنصب رئاسة الوزراء، بالاتّكال على تحالف يصدّر نفسه بوصفه «الكتلة الأكبر».

مع هذا، يؤكد اللامي أن السيناريو المفضّل بالنسبة إلى «دولة القانون»، هو الحكومة التوافقية، رافضاً التطرّق إلى اسم رئيس الوزراء المقترح من قِبَل الائتلاف، مؤكداً أنه «لا توجد مشاورات حول تشكيل الحكومة، بقدر وجود مشاورات حول الكتلة الأكبر الفائزة وتكوينها. فالعرش ثمّ النقش. ووجود كتلة فائزة باستطاعتها أن تصل إلى أن تكون الكتلة الأكبر، حسب المادة 76 من الدستور العراقي لعام 2005، يسمح بالبدء بعملية تشكيل حكومة. الآن هذا الكلام سابق لأوانه».

ولم يستبعد اللامي تشكيل حكومة من جانب قوى «الإطار التنسيقي» (الشيعي)، «إذا رفض سماحة السيد (مقتدى الصدر) أن يأتي إلى الإطار التنسيقي ويجلس معه لتشكيل حكومة توافقية. نحن مع التوافقية، فالأغلبية لا تضمن استقراراً سياسياً في المرحلة المقبلة. يمكن أن نشكّل مثل هذه الحكومة، وباستطاعتنا، نحن الكتلة الأكبر إلى الآن، لكن نريد أن نذهب إلى عملية توافقية، لكي لا يكون هناك انسداد سياسي أو مشكلات تلوح في الأفق إذا شُكّلت حكومة أغلبية سياسية». على أن الاتصالات بين الصدر والمالكي مقطوعة حالياً، كما يؤكد اللامي، وهو ما يُعزى إلى التباعد الكبير في وجهات النظر بينهما، وبعدَ واحدة من الصعوبات الكبيرة التي تعترض طريق تشكيل حكومة توافقية، إذ يرفض الصدر أيّ عودة إلى مثل هذه الحكومات، مُحمّلاً إياها مسؤولية الفساد الذي ضرب العراق في السنوات الماضية. وعن موعد إعلان النتائج النهائية للانتخابات، حتى يصبح ممكناً تحديد الكتلة الأكبر خلال أوّل اجتماع لمجلس النواب الجديد، قال اللامي إن «إعلان النتائج النهائية (غير المصادَق عليها) ممكن بعد يومين أو مطلع الأسبوع المقبل، لكن ستكون هناك اعتراضات، وبعدها تكون هناك مصادقة عكس البرلمان السابق الذي كان مترهّلاً بعيداً كلّ البعد عن العملية السياسية والشعب العراقي. كلّما كان تشكيل الحكومة أسرع، كان ذلك في مصلحة الشعب العراقي للخروج من الأزمات التي تحدث».

وعما إذا كان يتوقّع المزيد من التوترات الأمنية في ضوء الاحتجاجات التي ينظّمها «الإطار التنسيقي» على نتائج الانتخابات، اعتبر البرلماني العراقي أن «الحكماء سوف يأخذون دورهم، وخاصة المرجعيات الدينية في النجف الأشرف، وكذلك العقلاء الكبار في العملية السياسية». لافتاً إلى أن «هناك من هم أهل لحمل الهوية الوطنية العراقية التي يتمتّع بها الكثيرون، وخاصة المقاومة السياسية والمقاومة الجهادية. هؤلاء لديهم القدرة على العبور بنا إلى برّ الأمان. أمّا بالنسبة إلى الحركات الموجودة هنا وهناك من الدواعش، فهي حركات ميؤوس منها، والوضع مسيطر عليه من قِبَل القوى الأمنية العراقية المتمثّلة بالجيش ووزارة الداخلية ومَن معهم، وأهمّهم الحشد الشعبي الذي يمسك الأرض».

السيناريو المفضّل بالنسبة إلى «دولة القانون» هو الحكومة التوافقية (من الويب)

فلسطين

بريطانيا وفيّة لـ«بلفورها»: المقاومة... إرهاب

بعد أيام من الذكرى الـ104 لـ«وعد بلفور»، أعلنت وزيرة الداخلية البريطانية عزم بلادها تصنيف حركة «حماس»، بأشكالها السياسية والعسكرية كافّة، «منظّمات إرهابية». الأمر الذي احتفت به دولة الاحتلال، بينما وصفته الحركة بأنه استمرار بريطاني في الغيّ القديم

غزة - **رجب المدهون**

بعد سنوات من حظر بريطانيا الجناح العسكري لحركة «حماس»، «كتائب القسام»، أعلنت وزيرة الداخلية البريطانية، بريتي باتل، توجّه حكومتها نحو إدراج الحركة نفسها ضمن «المنظّمات الإرهابية»، مهدّدة كلّ من يناصرها بعقوبة السجن، التي قد تصل إلى عشر سنوات. وسيصوّت البرلمان البريطاني، الأسبوع المقبل، على تعديلات على قوانين «مكافحة الإرهاب» لتضمّ «حماس»، كما سيُعتبر دعم الحركة بالأقوال، ورفع أعلامها ولقاء نشطائها، «نشاطات غير شرعية». وفي هذا السياق، قالت باتل إنه ليس بالإمكان التفريق بين الجناحَين السياسي والعسكري، مدّعيةً أن القرار يستند إلى «معلومات واسعة النطاق، تُدلّل على قيام الحركة بنشاطات إرهابية». واتّهمت «حماس» بـ«معاداة السامية»، معتبرةً الإجراء الأخير ضدّها «مهمّاً من أجل أمان الجالية اليهودية في بريطانيا».

ولم تكد بريطانيا تعلن توجّهها هذا، حتى احتفت به دولة الاحتلال، ووجّه رئيس حكومتها، نفتالي بينيت، شكره إلى المملكة المتحدة، قائلاً إنه لا يوجد أيّ فرق بين جناحَي «حماس» السياسي والعسكري، مضيفاً أن «الفرق يكمن فقط في البدلات الرسمية، حماس هي منظمة إسلامية راديكالية تستهدف الإسرائيليين الأبرياء، وتسعى إلى تدمير إسرائيل». وبينما أرجع بينت الفضل في القرار إلى صداقته مع رئيس الوزراء البريطاني، بوريس جونسون، عدّ وزير الخارجية الإسرائيلي، يائير لابيد، خطوةَ لندن من «ثمار» جهود وزارته، في ما جلّى تنافس أطراف الائتلاف الحكومي على نسب هذا «الإنجاز» إلى شخوصهم. من جهتها، ذكرت «القناة 12» العبرية أن «جهاز الشاباك الذي يتمتّع بخبرة وتجربة كبيرتَين في محاربة حماس، قدّم الكثير من المواد والمعلومات التي ساعدت وزارة الخارجية في التعامل مع البريطانيين، بالإضافة إلى نقل المعلومات». وأضافت القناة أن «الشاباك ساعد، أيضاً، في إحاطات رئيس حكومتها، نفتالي بينيت، وهي خطوة ستُمكّن من اتخاذ إجراءات إنفاذ أكثر فاعلية في مواجهة جهود تعاظُم حماس وبناء قوّتها، والتي

> **ذكرت «القناة 12» العبرية أنّ «جهاز الشاباك قدّم الكثير من المواد والمعلومات للبريطانيين»**

تجري أيضاً في بريطانيا».

في مقابل ذلك، وصفت «حماس» القرار بأنه استمرار في السياسات القديمة، قائلة: «بدلاً من الاعتذار وتصحيح خطيئتها التاريخية بحق الشعب الفلسطيني، سواء في وعد بلفور المشؤوم، أو الانتداب البريطاني الذي سلّم الأرض الفلسطينية للحركة الصهيونية، تُناصر بريطانيا مع البريطانيين، بالإضافة إلى المعتدين على حساب الضحايا». وشدّدت الحركة على أن «مقاومة الاحتلال، بكلّ الوسائل المتاحة، بما فيها المسلّحة، حقّ مكفول للشعوب تحت الاحتلال في القانون الدولي»، مؤكدة أن «الاحتلال هو الإرهاب». ودعت «المجتمع الدولي، وفي مقدّمته بريطانيا، إلى التوقّف عن هذه الازدواجية والانتهاك الصارخ للقانون الدولي، الذين يدّعون حمايته والالتزام به». كذلك، طالبت الحركة بريطانيا بأن «تتوقّف عن الارتهان للرواية والمشروع الصهيونيَين، وأن تسارع للتكفير عن خطيئتها بحقّ شعبنا في وعد بلفور، بدعم نضاله من أجل الحرية والاستقلال والعودة». بدورها، أدانت لجنة المتابعة للقوى الوطنية والإسلامية، القرار البريطاني، محذّرةً من عواقبه، ومعتبرة إيّاه «استهدافاً مباشراً للشعب الفلسطيني وللمقاومة الفلسطينية، كحركة تحرّر وطني من الاحتلال الذي يعدّ امتداداً للسياسة الاستعمارية البريطانية».

السلطة تقرصن رواتب الفقراء: كفاكم تسوّلاً!

بعد مبادرات، منذ عام 2017، عملية قرصنة ممنهجة لمخصّصات الأسر الأشدّ فقراً تُنجّه السلطة الفلسطينية نحو نفْض يدها كلّيّاً من هذه الفئة، بذريعة الأزمة المالية التي تعانيها، توجّهٌ لا يفتأ يثير احتجاجات ساخطة، تُقابلها رام الله بالاستعلاء واتّهام المطالبين بحقوقهم بالتسوّل

«لجنة المطالبة بحقوق مستفيدي الشؤون» نظّمت، قبل يومين، وقفة احتجاجية في غزة (الأخبار)

غزة - **يوسف فارس**

لم تجد السلطة الفلسطينية غير أبناء الأسر الأشدّ فقراً في قطاع غزة والضفة الغربية المحتلة، لـ«تَرُفّ» إليهم خبر عجزها عن صرف المساعدات الدورية التي كانوا يتلقّونها أربع مرّات في كلّ عام، بسبب ما وصفته بـ«الضائقة المالية التي تمرّ بها»، على رغم التزامها الشهري بصرف رواتب وعلاوات مئات الآلاف من موظفيها، والتي يكفي واحد منها لتغطية ما تتلقّاه خمس أسر فقيرة. غير أن الغريب في الأمر أن الوزير الذي يتلقّى راتباً شهرياً يؤمّن 20 أسرة من الجوع، هاجم الفقراء الذين طالبوه بحقّهم، مخاطباً إيّاهم بالقول: كفاكم تسوّلاً!

أحد عشر شهراً مرّت لم تتلقّ خلالها عشرات الآلاف من الأسر الفقيرة في القطاع والضفة شيكاتها الدورية من وزارة التنمية والشؤون الاجتماعية، سوى مرّة واحدة، إذ تتذرّع الأخيرة بأنها تعاني من أزمة مالية تجبرها على عدم الوفاء بالتزاماتها، علماً أن عدد هذه الأسر يبلغ 115 ألفاً، 81 ألفاً منها في غزة كان من المفترض أن تُصرَف مستحقّاتها التي تُراوح قيمتها بين 220 دولاراً و550 دولاراً على شكل شيكات بواقع مرّة كلّ ثلاثة أشهر. وعلى رغم أن تلك المبالغ بالكاد تفي بالحدّ الأدنى من حاجات المعوزين، إلّا أنها تعرّضت منذ عام 2017 لقرصنة ممنهجة، إذ قلّصت «الشؤون» دروات الصرف إلى ثلاث مرّات، وأعادت الكرّة في عامَي 2018 و2019. وفي عام 2020، لم تتلقَّ الأسر الفقيرة إعاشتها سوى مرّتَين، غير أن العام الجاري كان الأسوأ بالنسبة إليها، إذ تلقّت دفعة مالية واحدة بواقع 238 دولاراً لكلّ منها، من دون مراعاة لعدد الأفراد والواقع الاجتماعي.

«لجنة المطالبة بحقوق مستفيدي الشؤون» نظّمت، قبل يومين، وقفة احتجاجية طالب المشاركون فيها الوزارة بصرف الشيكات المتأخرة التي وصل عددها منذ عام 2017 إلى 7 شيكات. وقال صبحي المغربي، وهو مسؤول اللجنة، إن «مستفيدي الشؤون هم ضحية لسياسات المماطلة والتسويف التي تتّبعها السلطة في التعاطي مع ملفّهم، الذي شهد على مدار سنوات جملة من التقليصات الجائرة». يوضح المغربي، في حديثه إلى «الأخبار»، أن «هذه المساعدات تُصرف برعاية من الاتحاد الأوروبي الذي يغطّي نسبة 40% منها، وقد أُقرّت عام 1995 بموجب برنامج الحماية الاجتماعية الذي أوصت به الجمعية العامة للأمم المتحدة (...) ولا يمنّ أحد على الأسر المستفيدة بهذا الفتات». والجدير ذكره، هنا، أن الأسر المستفيدة من شيكات «الشؤون» هي الفئات المعدمة، حيث تصل نسبة كبار السنّ وأصحاب الأمراض المزمنة الذين لا يستطيعون العمل من بينها إلى 53%، ونسبة الأطفال المرضى 24%، فيما تتوزّع البقيّة على المطلّقات والأرامل اللواتي يتحمّلن مسؤولية عائلات توفّي معيلوها. ومنذ مطلع عام 1995، كان المستفيدون من «الشؤون» يتلقّون مخصّصاً يُصرف على نحو شهري، قرّره قانون حماية الأسر، بواقع 616 دولاراً، لكن سياسات السلطة عملت على تقويض البرنامج الذي تغطّي 60% من موازنته من أموال المقاصّة والضرائب، لتُحوّله في عام 2010 إلى شيكات مقتطعة تُصرف أربع مرّات في العام، بما لا يتجاوز للأسر التي يصل عدد أفرادها إلى 18 فرداً، هامش الـ550 دولاراً.

> **تلقّت الأسر الأشدّ فقراً هذا العام دفعة مالية واحدة بواقع 238 دولارا لكلّ منها**

غير أن الأكثر إيذاءً من ذلك التلكّؤ، هو الهجوم الذي شنّه وزير الشؤون الاجتماعية في حكومة رام الله، أحمد مجدلاني، على المستفيدين، ردّاً على مطالبتهم بصرف الدفعات السنوية وتعويض ما تمّ اقتصاصه منها خلال السنوات الماضية، إذ قال مجدلاني، في حديثه إلى إذاعة «المنارة» المحلية، «إنّنا لن نتمكّن من صرف شيكات الشؤون بسبب الضائقة المالية التي تمرّ بها السلطة». وحين طالبه أحد المستفيدين بتوزيع الموارد المالية التي تُرد إلى موازنة السلطة على نحو يراعي حقوق الجميع، مشيراً في هذا الإطار إلى راتب الوزير الذي تُناهز قيمته الـ4 آلاف دولار شهرياً، من دون احتساب النثريات (اتصالات، بدل سكن، بدل مواصلات، بدل سفريات)، فتح الوزير النار عليه وعلى «أشباهه» قائلاً: «هؤلاء ليسوا محتاجين، كثير منهم يملك عقارات وأبنية ينتفع من إيجارها». وأردف مجدلاني: «الفقير لا يطلب ولا يدني نفسه للتسوّل بهذه الطريقة، الفقير عفيف النفس، ومن المعيب الحديث عن راتبي فهو حق لي أعمل مقابله والتسوّل ليس من شيم الرجال». ذلك، قبل أن يغلق الوزير الخطّ الهاتفي في وجه المذيع، محذّراً إياه من الاتصال به مجدّداً! هجوم مجدلاني الذي أثار عاصفة في الأوساط الشعبية وعلى مواقع التواصل، حاول مفوّض التنمية الاجتماعية في قطاع غزة، لؤي المدهون، التخفيف من حدّته، عبر الإعلان عن حزمة من المساعدات النقدية والعينية - مموّلة من مؤسسات دولية -، من دون أن يفوته التأكيد أن شيكات «الشؤون» المتأخرة واللاحقة، تقبع في المجهول.

إزاء ذلك، يحذر عمر صالحة، وهو خبير اقتصادي، من أن سياسات السلطة تجاه مستفيدي «الشؤون» أخذت منذ عام 2017 منحى التقليص الحادّ، فيما يتّجه الوزير مجدلاني إلى توزيع ما يتمّ تحصيله من الاتحاد الأوروبي، من دون أن تساهم السلطة في الحصة المقرّة عليها من مساعدات الفقراء. ويلفت صالحة، في حديثه إلى «الأخبار»، إلى أن «هذه الفئة تتعرّض لظلم كبير، وتضعها السلطة على هامش أولوياتها، وتحاول التخفّف من عبئها، على رغم أن مجمل ما تتلقّاه طوال العام، أقلّ من النثريات التي يتلقّاها موظفو السلطة في شهر واحد».

تقرير

تدور حربٌ، لم تَعُد خفيّة، بين الرئيس الأميركي جو بايدن، وولي العهد السعودي محمد بن سلمان، حول أسعار النفط، يسعى من خلالها الثاني للتأثير على فرص الديمقراطيين في الفوز في الانتخابات النصفية في خريف 2022، وإجبار الأوّل على التعامل معه مباشرة، والتسليم به ملكاً للسعودية بعد وفاة والده الملك سلمان. في المقابل، لا يزال بايدن متحفّظاً في المواجهة، التي لم يشهر فيها إلى الآن، من أسلحته، سوى استدعاء المنشقّ سعد الجبري قبل أسابيع، ليتّهم ابن سلمان بالتصريح برغبته في اغتيال الملك الراحل عبدالله، بخاتم مسموم يحصل عليه من روسيا

ابن سلمان يخوض معركة الجمهوريين

حربٌ أسعار نفطية بوجه بايدن

لا تغطّي المخزونات الأميركية الاستهلاك الداخلي إلّا لمدّة شهر واحد (أ ف ب)

حسين إبراهيم

قبل أيّام، نقل الكاتب السعودي علي الشهابي، المقرّب من وليّ العهد محمد بن سلمان، في تغريدة له على «تويتر»، مقالة لصحيفة «فايننشال تايمز» تقول إن ارتفاع أسعار النفط هو تذكير آخر بأن ابن سلمان لديه وسائل يستخدمها ضدّ الرئيس الأميركي جو بايدن. وقبل ذلك، غرّد الكاتب نفسه بأنه «إذا أراد بايدن معروفاً ما، فهو يعرف رقم الشخص الذي يتعيّن عليه الاتصال به»، في إشارة إلى وليّ العهد. من جهته، كان بايدن قد اتّهم السعوديين بالتلاعب بأسعار النفط، حين قال إن ارتفاعها يحصل «بمبادرة سياسية من جهة خارجية معيّنة»، مضيفاً أن «العديد من الأشخاص في الشرق الأوسط يريدون التحدّث إليّ، لكنّني لست واثقاً من أنّني سأتحدث إليهم»، في تلميح أيضاً إلى ابن سلمان الذي يرفض الرئيس الأميركي التعامل معه شخصياً على خلفية قضية مقتل الصحافي جمال خاشقجي.

هذه علامات تؤكد أن المواجهة بين الرجلين مفتوحة، بل صارت شبه علنية، وإن كانت لا تزال تدور بالرموز. مواجهةٌ يستخدم فيها ولي العهد السعودي سلاح النفط بقرار واعٍ، على رغم أنه من غير المنصف حصر ارتفاع الأسعار بعامل واحد، هو إرادة ابن سلمان. فالصعود ذاته، سببه عوامل السوق المُعبَّر عنها بالعرض والطلب، وأساسها بدء الخروج من الكبوة التي تسبّب بها للاقتصاد العالمي وباء «كورونا»، والتي ترافقت مع تدنّي الاستثمار في الإنتاج، بحيث إنه عندما ارتفع مستوى الطلب، لم يستطع مستوى الإنتاج مجاراته. لكنّ ولي العهد السعودي يستطيع، إذا أراد، الضغط في «أوبك بلس» لزيادة الإنتاج، وبالتالي خفض الأسعار. وللتأكيد، فهو كان قد استجاب عام 2018، عندما طلب منه الرئيس السابق

> يسعى ابن سلمان للانتقام من الديمقراطيين عموماً وبايدن خصوصاً، عبر تأليب الرأي العام الأميركي عليهم

دونالد ترامب، فعل أمر مماثل، عشية الانتخابات النصفية حينها، بهدف خدمة المرشّحين الجمهوريين. كان ذلك بعد أسابيع من اغتيال خاشقجي، وتقديم المديرة السابقة لوكالة «سي آي إي»، جينا هاسبل، تقريراً سرّياً إلى الكونغرس يفيد بأن ابن سلمان هو مَن أمر بقتل الصحافي السعودي، لكنّ ترامب رفض الكشف عن التقرير، وتبجّح لاحقاً بالقول إنه أنقذ «مؤخّرة ابن سلمان»، ليقوم بايدن برفع السرّية عن التقرير بعد أقلّ من شهر على تولّيه الرئاسة، ويقرّر عدم التعامل شخصياً مع وليّ العهد. اليوم، ومن خلال الامتناع عن ضخّ المزيد من النفط، يسعى ابن سلمان للانتقام من الديمقراطيين عموماً وبايدن خصوصاً، عبر تأليب الرأي العام الأميركي عليهم بسبب ارتفاع أسعار الوقود، ومعها أسعار السلع الاستهلاكية، على أمل التأثير على فرصهم في الفوز في الانتخابات النصفية في خريف 2022. وفي انتظار تلك الانتخابات، يبدو أن عملية التأليب هذه تؤتي أُكُلها، حيث تقبع نسبة تأييد بايدن - بسبب منها - عند أدنى مستوياتها منذ تسلّمه الرئاسة، بعد أن ارتفعت أسعار المستهلكين في تشرين الأول الماضي بنسبة 6,2% على أساس سنوي، في أكبر قفزة من نوعها منذ ثلاثة عقود.

إزاء ذلك، لن تكون معركة بايدن سهلة، لأن المسألة لا تقتصر على ابن سلمان، بل تشمل حلفاء مباشرين وآخرين موضوعيين للأخير في مهمّته. في الفئة الأولى، لديه روسيا التي سعى رئيسها فلاديمير بوتين طويلاً لإقامة مثل هذا الحلف النفطي المتجسّد حالياً في «أوبك بلس»، في حين أن إيران تعتقد، هي الأخرى، أن أسعار النفط، حتى عند المستوى الحالي، متهاودة، نظراً إلى أهمية هذه السلعة للاقتصاد العالمي. لكن الأساس هو أن ولي العهد السعودي يحظى بدعم داخلي أميركي من الجمهوريين الذين بدأوا بالفعل استغلالاً سياسياً للتضخّم الحاصل في بلادهم، باعتبار أن الحال الاقتصادية للبلد، وخاصة إذا انعكست مباشرة على جيوب الناس، مثلما يحدث عند ارتفاع أسعار الوقود، تمثّل أحد أكثر العوامل أهمية التي تؤخذ في الاعتبار عند التصويت. كذلك، تلائم أسعار النفط العالية الشركات النفطية التي هاجمها بايدن أخيراً متّهماً إياها بانتهاك القانون، علماً أن هذه الشركات حقّقت أرباحاً طائلة في الأشهر الأخيرة، بعد أن مُنيت بخسائر كبرى في العامين الماضيين خلال أزمة «كورونا»، حيث وصلت أسعار الخام إلى ناقص 37 دولاراً في نيسان 2020. ويعتمد ولي العهد، أيضاً، على نفوذ إسرائيل في أميركا، حيث يبدو أنه عاد إلى تدفئة العلاقات غير المباشرة مع العدو. ولعلّ من الشواهد على ما تقدّم، تجوال الحاخام الإسرائيلي الأميركي، جاكوب هيرتزوغ، في شوارع العاصمة السعودية ومشاركته في «موسم الرياض».

في المقابل، يملك بايدن عدداً من الخيارات الاقتصادية، من بينها حثّ قوى أخرى متضرّرة من أسعار النفط المرتفعة، مثل الصين والهند واليابان ودول أوروبا، على السحب من مخزوناتها الاستراتيجية، وهو ما ناقشه أخيراً في قمّة افتراضية مع نظيره الصيني تشي جينبينغ (بدأت بكين بالفعل السحب من احتياطاتها الاستراتيجية)، لكنّ تقديرات الاقتصاديين تفيد بأن هذا التكتيك لن يكون له أكثر من أثر محدود، خصوصاً أن المخزونات الأميركية البالغة 606 ملايين برميل حالياً، تغطّي الاستهلاك الداخلي الأميركي لمدّة شهر واحد، وبالتالي فإن السحب منها يمكن أن يؤدّي إلى عودة الصعود بشكل أكثر حدّة عند إعادة بنائها. أمّا الخيارات الأخرى المتوافرة لدى الرئيس الأميركي، فهي وقف تصدير الخام الأميركي إلى الخارج، وفرض عقوبات على دول «أوبك بلس»، وسيناريو ثالث قد يكون أكثر نجاعة، يتمثّل في إشهار أوراق ضغط إضافية بوجه السعودية، من وزن ظهور المنشقّ سعد الجبري في برنامج «60 دقيقة» على قناة «سي بي أس» الأميركية، حيث كشف عن تبجّح ابن سلمان أمام وليّ العهد السابق محمد بن نايف، برغبته في اغتيال الملك الراحل عبدالله بخاتم مسموم يجلبه من روسيا.

تبقى قضية ما إن كان بايدن سيصعّد ضدّ ابن سلمان بشكل فوري أم سينتظر ظرفاً ملائماً، مثل وفاة الملك سلمان، مرهونة باتجاه الأسعار، خاصة أن «أوبك بلس» ستزيد الإنتاج بواقع 400 ألف برميل يومياً اعتباراً من كانون الأول المقبل، في حين تباطأ الطلب في الأيام الماضية، ما دفع الأسعار إلى ما دون 80 دولاراً للبرميل، ولَربّما تقوم الموجة الرابعة من وباء «كورونا» ببقيّة المهمّة نيابة عن بايدن. وحينها، سيكون ابن سلمان، مجدّداً، مجرَّداً من سلاح النفط.

تقرير

فنزويلا نحو التجديد للتشافيزية: التغيير الأميركي... لا يأتي

بتول سليمان

يتوجّه الفنزويليون، يوم غدٍ الأحد، إلى صناديق الاقتراع لانتخاب السلطة التشريعية ومجالس البلديات، وحكّام الولايات. الانتخابات الثانية التي تجرى في غضون عامَين، تُعدُّ مفصليّة، إذ يشارك فيها إلى جانب الحزب الاشتراكي الحاكم الذي ينتمي إليه الرئيس نيكولاس مادورو، أكثر من 27 حزباً معارضاً، قرّرت، بعد مفاوضات شاقّة مع السلطة، كسْر مقاطعةٍ كانت قد مارستها في الدورة الأخيرة. وفي حين تُعتبر نتيجة الانتخابات محسومةً، من الآن، لمصلحة الـ«تشافيزمو»، إلّا أن الغرب سيجد صعوبة في اتّهام الحكومة الفنزويلية بـ«التزوير»، بعدما كانت الولايات المتحدة من المشاركين في التوصّل إلى صيغة الانتخابات المرتقبة غداً، من خلال المفاوضات التي عُقدت بين حكومة كاراكاس والمعارضة ممثلة بزعيمها خوان غوايدو، واتفق في خلالها على إجراء الانتخابات تحت مراقبة دولية تضمن «عدم التلاعب» بالنتائج.

ونظراً إلى أن فوز اليسار في هذا الاقتراع يبدو محسوماً ليس بالنسبة إلى المحلّلين فحسب، بل أيضاً بالنسبة إلى المعارضة الفنزويلية التي اعترفت مراراً بتخبّطها وانقسامها تحت قيادة غوايدو، فإن التشويش على العملية الانتخابية كان قد بدأ باكراً، من خلال ما قيل إنه هجوم «إرهابي» استطاعت القوات الأمنية الفنزويلية إحباطه قبل أسبوع. وفي تفاصيل ما جرى، قامت مجموعة من الأشخاص بمهاجمة «مستودعات المجلس الانتخابي الوطني في ماريتشي (كاراكاس)»، فيما أفاد وزير العلاقات الداخلية، ريميهيو سيبالوس، بأن المسؤولين عن هذه الحادثة هم أنفسهم «الذين حاولوا، في عام 2020، تخريب الانتخابات النيابية».

وإلى فشل الخطط الأميركية في تأليب الطبقة العاملة على النظام الفنزويلي، ومن ثمّ فشلها في تحريك الشارع ضدّ مادورو على خلفية نتائج الانتخابات الأخيرة، وقبلهما محاولة الانقلاب الفاشلة التي قادها غوايدو لإطاحة النخبة الحاكمة، فإن الانقسام في صفوف المعارضة يُعدّ سبباً رئيسيّاً في مَيْل الكفة لمصلحة الاشتراكيين. وبعدما استطاعت، في عام 2015، بسطَ سيطرتها على المجلس التشريعي، تبدو المعارضة، اليوم، في مستوى عالٍ من التخبّط لم يسبق لها أن وصلت إليه، منذ أيّام الرئيس الراحل هوغو تشافيز.

يفسّر ذلك عاملان: الأوّل، اعتراف زعيم المعارضة هنريك كابريليس، في بداية الحملة الانتخابية منتصف الشهر الماضي، بأن هناك «تشتتاً» في أصواتها؛ والثاني، ترشّح أكثر من 65 ألف شخص ينتمون إلى 27 حزباً معارضاً (رشّح الحزب الحاكم خمسة آلاف شخص)، سيتمّ انتخاب نحو ثلاثة آلاف منهم، بين نائب وحاكم ولاية ورئيس بلدية وأعضاء مجالس بلديات.

واقع الانقسام هذا، تطرّقت إليه وسائل الإعلام الأميركية (بنسختها الإسبانية)؛ فعرّجت شبكة «سي إن إن»، في تقرير بعنوان «معارضة

> يُعدّ الانقسام في صفوف المعارضة سبباً رئيسيّاً في مَيْل الكفّة لمصلحة الاشتراكيين

منقسمة وقصيرة النظر تصل إلى الانتخابات الإقليمية في فنزويلا»، على وضع المعارضة. وفي حديث إلى الشبكة، قال الصحافي الفنزويلي، مويسيس نعيم، إن «هذه المعارضة تتكوّن من مجموعة أشخاص كانوا مخطئين للغاية ومُشتّتين وضعوا المنفعة الشخصية فوق المنفعة العامة»، مضيفاً إنه «يجب الاعتراف بأنها معارضة أظهرت علامات على قُصر النظر، حيث امتهن قادتها إشباع رغباتهم وطموحاتهم السياسية، أكثر من سعيهم وراء الوحدة التي هم في أمسّ الحاجة إليها». أمّا المحلل السياسي الفنزويلي، مدير شركة «بوليتي» الاستشارية جون ماغدالينو، فأرجع هذا الانقسام إلى الخلافات الخطيرة التي تطغى على المعارضة حيال «استراتيجية الترويج لتغيير النظام السياسي في فنزويلا». ووفق ماغدالينو، فإن المعارضة لم تعد قادرة على خلق «منصّة موحدة ومقبولة من جانب غالبية الأطراف». وبالفعل، برز ذلك بشكل جليّ خلال الحملة الانتخابية التي غابت عنها مثلاً قيادة موحّدة للمعارضة، والشعار المشترك الذي يختصر البرنامج الانتخابي، ووصل الأمر إلى عدم التوافق حتّى على ناطق باسمها. غير أن تعويلها الوحيد في هذه الانتخابات، يبقى على استغلال الأزمات التي تعانيها البلاد، من نقص الوقود، وانقطاع التيار الكهربائي، إلى التضخم المفرط في ظلّ الانهيار الاقتصادي المتفاقم.

أما لناحية الحكومة، فستشكّل الانتخابات اختباراً جديداً لـ«التشافيزيّة» في إدارة أزمات البلاد، ولا سيّما أن من المتوقّع عدم كفّ واشنطن عن حربها والتعايش مع استمرار اليسار في حكم فنزويلا. وتبدو النتيجة محسومة لمصلحة «الاشتراكيين»، وفق ما توقّعته استطلاعات رأي أجرتها شركاتٌ معروف عنها عداؤها للنظام الفنزويلي، ومنها شركة «Datanálisis» التي قالت - بناءً على نتائج الاستطلاع - إنه «سيشارك في تصويت يوم الأحد حوالى 45% من المقترعين المقيمين في فنزويلا»، متوقعةً أن تظلّ «غالبية المحافظات الـ 23 في أيدي الاشتراكيين». وفي مقابلة أجراها موقع «Voice Of America» مع رئيس «Datanálisis»، لويس فيسنتي ليون، قدّر الأخير أن «حزب الرئيس نيكولاس مادورو سيَفوز بمعظم الولايات (17 على الأقل)، بينما من المتوقّع أن تفوز المعارضة في ثلاث ولايات، هي: زوليا وميريدا ولارا». أما شركة «ORC Consultore» فكانت أكثر تفاؤلاً، متوقّعة أن تفوز المعارضة بما لا يقلّ عن ست ولايات.

بدأ التشويش على الانتخابات باكراً، من خلال ما قيل إنه هجوم «إرهابي» استطاعت القوات الفنزويلية إحباطه (أ ف ب)

تقرير

استفتاء إلكتروني على تعديل الدستور

تونس رهينة الهرطقة

شرع الرئيس التونسي، قيس سعيد، في تنفيذ تصوّره للمرحلة المقبلة. وإنْ كانت الخطوة متأخرة بعض الشيء، فهي جاءت تماماً كما كان متوقَّعاً لها: أحاديّة، ومن دون تشاور مسبق مع أيّ طرف، فضلاً عن كونها غير واقعية في بلدٍ غارق في بيروقراطية الأوراق والمستندات. مع هذا، يتجّه سعيد نحو إجراء «استفتاء إلكتروني» على تعديل النظام السياسي، يهدف من ورائه إلى تجسيد «مطالب التونسيين في دستور حقيقي»

تونس — الأخبار

فكرة أخرى مبهمة ألقى بها الرئيس قيس سعيد، على مسامع التونسيين: استفتاء إلكتروني على تعديل النظام السياسي. تعديلٌ يبدو أنه جرت صياغته في أروقة قصر قرطاج بين سعيد ومستشاريه، ليُقدَّم كوجبة جاهزة للجميع، على أن يخضع لجدول زمني لإدخال الإصلاحات، ما يعني عدم اقتصاره فقط على تنقيح الدستور أو استبداله بنصّ دستوري جديد يقضي بالانتقال من النظام البرلماني إلى النظام الرئاسي، وإنّما سيطاول أيضاً النظام الانتخابي والحكم المحلي والهيئات الدستورية.

وتثير هذه العملية تساؤلات في الشكل والمضمون. ففي الشكل، لا يمكن الجزم بإمكانية إجراء الاستفتاء الإلكتروني في دولة أنهكتها بيروقراطية الوثائق والأوراق، ولم تمضِ أشواطاً تذكر في مسار رقمنتها بِما يسمح ببعث منصات انتخاب إلكترونية تضمن سيْر العملية بسلامة ونزاهة ومن دون تلاعب، علاوة على الشبهات التي تلاحق هيئة الانتخابات المتّهمة بالتورّط مع أطراف سياسية، وتسريب قاعدة البيانات الانتخابية. أما من ناحية المضمون، فلا تبدو فكرة الاستفتاء على تعديل الدستور مقبولة لدى خبراء القانون، إذ سبق لأكاديميين أن حذّروا من هذه الخطوة التي ستكون، بحسبهم، «استفتاءً على الشخص، لا على ما يطرحه»، وهو ما يقود آليّاً إلى قبول مقترح سعيد بصرف النظر عن وجاهته من عدمها، نظراً إلى الدعم الشعبي الهائل الذي يحظى به. ولن توافق أطراف حزبية ونقابية في البلاد متّفقة مع الرئيس التونسي حول ضرورة تعديل النظام السياسي، على ذهابه نحو هذه الخطوة منفرداً، من دون استشارتها. وفي هذا السياق تحديداً، يأتي موقف «الاتحاد العام التونسي للشغل»، الذي شدّد، على لسان الناطق الرسمي باسمه سامي الطاهري، على ضرورة إجراء حوار وطني من دون إقصاء للأحزاب السياسية. ولفت الطاهري، خلال اجتماع لقيادات منظّمة الشغيلة في محافظة صفاقس، إلى أن الاتحاد «لن يلتقي مكونات منظومة ما قبل 25 تموز، ولا رجوع إلى البرلمان المعلّقة أشغاله باعتباره جزءاً من المعضلة التي عاشتها البلاد». ولا يمكن عزل موقف الاتحاد، عن مسار المفاوضات التي يخوضها مع الحكومة حول زيادة الأجور. وبخلاف جولات

> لا تبدو فكرة الاستفتاء على تعديل الدستور مقبولة لدى خبراء القانون

التفاوض السابقة التي خاضتها المنظمة مع الحكومات المتعاقبة، فلا يبدو أن هناك مَواطِن توتّر وعداء، إذ سُجّل التزام من الحكومة الحالية بمضمون الاتفاقات، ما يضع الطرفين في موقع مريح. ويُفهم من ذلك أيضاً أن التصادم المتوقّع بين حكومة نجلاء بودن ومن ورائها سعيد، والاتحاد، حول ملفّ الإصلاحات القائم أساساً على خفض كتلة الأجور وإصلاح المؤسسات الحكومية، مؤجَّل لغاية استكمال الإصلاحات السياسية.

وبينما يتصاعد النقاش حول مضمون قانون المالية التكميلي وضيق الموارد المطلوبة لتمويل موازنة الدولة للسنة المالية المقبلة، وبينما لم يفصح سعيد عن إصلاحات اقتصادية عميقة، فهو أعلن عن مبادرته التي سبق له أن قدّمها أيّام حكومة إلياس الفخفاخ، ووئدت قبل وصولها إلى البرلمان، والمتمثّلة في مبادرة الصلح الجزائي، مشدّداً على اختلافها عمّا جرى إقراره في السنوات الماضية، وملمّحاً إلى قانون المصالحة الاقتصادية والإدارية مع مَن تورّطوا مع نظام بن علي. يذكر أن حركة «النهضة»، وحليفها حزب «نداء تونس»، مرّرا القانون المذكور بمنطق المغالبة، ولم يقدّما شيئاً للتونسيين على مستوى المداخيل، بينما منحا عفواً للمتورطين وإبراءً لذممهم. وتتمثّل المبادرة الجديدة في صلح، لا مع المتورّطين مع النظام السابق فقط، وإنّما مَن «نهبوا أموال التونسيين خلال العشرية الماضية»، على حد قول الرئيس.

ولم يبرز ردّ فعل «النهضة» على ما أعلنه الرئيس في آخر ظهور له ليل الخميس الماضي. ولكن اللافت خروج الغنوشي بدوره عن صمته، إذ كتب نصّاً طويلاً عن الثورة والثورة المضادة والانقلاب الذي جاء «كجرعة أوكسجين» في مناخ اتّسم بالإحباط نتيجة غياب الإنجاز والإصلاحات. وبدا وكأن هذا الخروج «الفاقد للمعنى» مجرّد محاولة لاقتسام الفضاء العام، وأضحى الرجل الأول في النظام السياسي، على امتداد سنتين تقريباً، باحثاً عن هامش صغير للفعل بجانب سعيد، تماماً كما كان وضع هذا الأخير قبيل 25 تموز الماضي، وهو أمر يتنزّل في سياق «الحرب سجال، يوم لك ويوم عليك»، كما وصفها الغنوشي. يعفي الغنوشي، في مقالته، حزبه من مسؤولية خراب العشرية الماضية؛ حتى القرارات السياسية التي اتُّخذت بالإجماع في مؤسسات الحزب كانت، وفق قوله، «نتيجة ضغط الثورة المضادة ورفض الطبقة السياسية المعارضة ما قبل 2011 للتحالف مع النهضة والعمل معها وعدم توفّر مناخ إقليمي موات واعتلاء الشعبوية إلى قيادة العالم مع دونالد ترامب».

من الطبيعي أن تستعيد «النهضة» خطاب المظلومية حتى تحافظ على قواعدها، ومن المتوقّع أيضاً أن تبني سرديات جديدة لمقارعة إجراءات سعيد، تؤسّس بها لصورة فاضلة ونضالية جديدة عن الحركة فقدتها نتيجة سياساتها على مرّ السنوات العشر الأخيرة.

لا يمكن الجزم بإمكانية إجراء الاستفتاء الإلكتروني في دولة أنهكتها بيروقراطية الوثائق والأوراق (أ ف ب)

العالم

تركيا

لم ينفِ أردوغان نيّته تعديل الدستور لتعديل البند المتعلّق بنسبة الفوز (أ ف ب)

شبح الخسارة يؤرّق أردوغان
تعديل النظام الانتخابي مخرجاً وحيداً؟

يوماً بعد آخر، تزداد خشية رجب طيب أردوغان من احتمال خسارة السلطة، لأسباب كثيرة، في مقدّمها تراجع قياسي في شعبية حزبه لم يَعُد ممكناً لجمه، خصوصاً في ظلّ تفاقم المصاعب الاقتصادية. إزاء ذلك، يحثّ الرئيس الطامح إلى ولايات مديدة الخُطى نحو تعديل النظام الانتخابي، وتحديداً بند الـ51% المطلوبة للفوز بالانتخابات، فيما يبدو معارضوه أكثر استعداداً لتشكيل جبهة موحّدة بوجهه

محمد نور الدين

بعد مضيّ أسبوعين على تصويت «حزب الشعب الجمهوري» المعارض ضدّ مذكّرة إرسال قوات تركية إضافية إلى سوريا والعراق، أطلق زعيمه، كمال كيليتشدار أوغلو، تحذيراً لحزب «العدالة والتنمية» الحاكم من أن قرار «المغفرة» قد اتُّخذ. فقال: «في الماضي، حزبنا أيضاً ارتكب أخطاء. وقد اتّخذنا قراراً بالمغفرة. لقد رأيت الكراهية والحقد في وطني، وأريد للحبّ أن ينتصر. فبلدنا بحاجة إلى المغفرة. المغفرة لا تحلّ مشكلات الماضي، لكنها تنقذ مستقبلنا». على خلفية ما تقدّم، انطلقت التحليلات لتفسير ما يرمي إليه حزب المعارضة الرئيس، وما الذي سيفعله. وما إذا كان المقصود بـ«المغفرة»، «تصفية الحساب» مع السلطة. وكان «الشعب الجمهوري» أطلق باكراً معركة الرئاسة ضدّ الرئيس رجب طيب أردوغان، على رغم أن هناك متّسعاً من الوقت قبل بلوغ مرحلة الاقتراع في صيف عام 2023. غير أن الظروف الاقتصادية التي تزداد صعوبة، تشجّع كيليتشدار أوغلو والأحزاب المعارضة الأخرى على المُضيّ قدُماً في «تصفية الحساب». فالليرة التركية، عرفت، في الأيام القليلة الماضية، تدهوراً قياسياً، إذ بلغت نسبة التراجع - في الأشهر الثلاثة الأخيرة - أكثر من الثلث، ليصل سعر الصرف إلى أكثر من 11 ليرة لكلّ دولار. وفيما ارتفعت نِسَبُ التضخّم والبطالة، شكّل الصراع على كيفيّة إدارة السياسة النقدية، جوهرَ المشكلة بين أردوغان والمصرف المركزي الذي تبدّل حاكمه في السنة الأخيرة أكثر من مرّة. إذ يرفض الرئيس سياسة رفع الفوائد، فيما يرى خبراء اقتصاديون أن من شأن ذلك أن يحدّ من الضغوط على العملة الوطنية.

وتفاقم توتّر الحزب الحاكم، استطلاعات رأي يجريها «العدالة والتنمية» لمصلحته، وتجمع على تراجع شعبيته التي باتت تسجّل حوالى 30% - فيما بلغت شعبية شريكه، حزب «الحركة القومية» برئاسة دولت باهتشلي، نحو 7% -، فـ27% لـ«حزب الشعب الجمهوري»، و15% لشريكه ذي النزعة القومية، «الحزب الجيّد» بزعامة مرال أقشينير، ما يبقي «حزب الشعوب الديموقراطي» الكردي بيضة القبّان، بحصوله في الاستطلاعات على أكثر من 10% من الأصوات. وفي حال اتفقت المعارضة، وفقاً للظروف الراهنة، على مرشّح مشترك، وحظيت بدعم الحزب الكردي، فإن الهزيمة لا محالة ستلحق بأردوغان في انتخابات الرئاسة. ويعزّز الاعتقاد بتقاطع المواقف بين «الشعب الجمهوري» و«الشعوب الديموقراطي» تصريحُ نقل عن صلاح الدين دميرطاش، الزعيم السابق للحزب والمسجون منذ خمس سنوات، اعتبر فيه أن ما قاله كيليتشدار أوغلو عن المغفرة «مهمّ جداً للمصالحة الاجتماعية والسلم الأهلي، وهو تصريح شجاع، بل تاريخي وندعمه ومستعدّون للعمل معاً من أجل تصفية الحساب مع أخطاء الماضي».

من هنا، يعمل أردوغان على جمْع أصوات بالنقطة. فهو يجري، من وقت إلى آخر، لقاءات مع أحزاب صغيرة من أجل كسب أصواتها، والمثال الأكبر على ذلك هو تركيز الرئيس، منذ عدّة أسابيع، على جذب أصوات «حزب السعادة» الإسلامي الصغير، والذي بالكاد ينال في الانتخابات، كما في الاستطلاعات، واحداً أو واحداً ونصف في المئة. ولكن في سياق احتدام المعركة الرئاسية، تحظى كلّ نقطة أو نصف نقطة بأهمية بالغة. والمفارقة أن زعيم «حزب السعادة»، تيميل قره ملا أوغلو، خرج في حوار صحافي طويل ليعلن بعد لقاء جمعه إلى أردوغان، أنهما يختلفان على كلّ الأمور. وقال: «أردوغان يرى أن كلّ الأوضاع السياسية والاقتصادية في تركيا ممتازة، إلّا شيئاً واحداً: مسألة النصف زائداً واحداً التي ينصّ عليها القانون الانتخابي ليفوز المرشّح برئاسة الجمهورية». ما نقله زعيم «حزب السعادة».

> **تفاقم توتّر الحزب الحاكم استطلاعات راي يجريها «العدالة والتنمية» لمصلحته، وتجمع على تراجع شعبيته**

يعكس خشية أردوغان الواضحة من نتائج الانتخابات الرئاسية وفق القانون الحالي ووفق استطلاعات الرأي، لذلك وقّع كلامه عن مسألة النصف زائداً واحداً وقّع القنبلة في الشارع السياسي. وعندما سُئل أردوغان عمّا إذا كان سيذهب في اتّجاه تعديل الدستور ليغيّر البند المتعلّق بنسبة الفوز، لم ينفِ نيته هذه، مبقياً المسألة مفتوحة، بالقول: «إن مرجعية تعديل الدستور هي البرلمان. هل سيتّخذ قراراً جديداً أم لا؟ سنرى ذلك». وما شكّل دليلاً إضافياً على رغبة أردوغان في تعديل الدستور، تحذير عضو الهيئة الاستشارية في القصر الجمهوري، القيادي البارز سابقاً في حزب «العدالة والتنمية» جميل تشيتشيك، من أن مسألة النصف زائداً واحداً ستخلق مشكلات جدّية لتركيا اليوم وغداً، وستفتح على الفوضى.

لكن مشكلة أخرى ظهرت في هذا السياق، تمثّلت في اعتراض دولت باهتشلي على إجراء تعديلات دستورية، إذ اعتبر شريك أردوغان أن النظام الحالي يشكّل قاعدة ديموقراطية معروفة وموجودة في كلّ دول العالم، ومن العبث الانشغال بهذه القضية، ولذا، بدا الحديث عمّا إذا كان «تحالف الجمهور» الذي يجمع أردوغان إلى باهتشلي، سينجح على خلفية هذه القضية. وبحسب محمد تانال، نائب «حزب الشعب الجمهوري» عن إسطنبول، فإن الرئيس التركي يريد التخلّص من نظام الحكومة الرئاسية، كونه لم يَعُد راضياً عنه بعد استطلاعات الرأي. ويقول تانال إن النظام الانتخابي الحالي، أظهر أنه يفيد فقط «الحركة القومية»، فيما فهم أردوغان أن صلاحية «العدالة والتنمية» قد انتهت. أمّا رئيس «الشعوب الديموقراطي»، مدحت سنجار، فيلفت إلى أن أردوغان يبحث عن طريقة للبقاء في السلطة، لكنه لن يجد أكثرية تؤيّده في تعديل النظام الانتخابي. فمن دون موافقة المعارضة، لن يتحقّق أيّ تعديل للدستور يتطلّب أكثرية ثلثَين لا يملكها «العدالة والتنمية» مع شريكه. ويتطلّب التعديل 400 صوت من أصل 600، فيما يقتضي التعديل في البرلمان لإحالته إلى استفتاء وجود 360 صوتاً مؤيداً، غير متوافرة للتشاني الحاكم (340 صوتاً معاً). لذا، فإن الحديث عن تعديل الدستور، وفق سنجار، قد يكون إشارة إلى احتمال حصول انتخابات رئاسية مبكرة.

◄ إعلانات رسمية ►

إعلان

تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لصيانة وتعبئة مطافئ الحريق، موضوع استدراج العروض رقم ث4ب/3960 تاريخ 2020/6/16، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2021/12/17 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.

يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور أعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان ـ امانة السر ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 30/ل.ل.

علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الاحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.

تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.

بيروت في 2021/11/12

بتفويض من المدير العام

مدير الشؤون المشتركة بالإنابة

المهندس واصف حنيني

التكليف 939

إعلان

تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لتقديم وتركيب غالات جديدة مع توابعها ومفاتيح لزوم أبواب غرف المحطات المبنية MT/BT الواقعة ضمن نطاق مديرية التوزيع في بيروت وجبل لبنان، موضوع استدراج العروض رقم ث4ب/1507 تاريخ 2021/4/16، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2021/12/17 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.

يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان ـ امانة السر ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 100/ل.ل.

علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الاحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.

تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.

بيروت في 2021/11/16

بتفويض من المدير العام

مدير الشؤون المشتركة بالإنابة

المهندس واصف حنيني

التكليف 962

إعلان

تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لصيانة وتصليح كابلات التوتر العالي المطمورة، موضوع استدراج العروض رقم ث4ب/4760 تاريخ 2021/9/23، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2021/12/17 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.

يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان ـ امانة السر ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 200/ل.ل.

علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الاحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.

تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.

بيروت في 2021/11/16

بتفويض من المدير العام

مدير الشؤون المشتركة بالإنابة

المهندس واصف حنيني

التكليف 963

إعلان

تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لشراء مؤشرات قياس ومعدات تحكم توتر منخفض (AC-DC) لزوم محطات التحويل الرئيسية، موضوع استدراج العروض رقم ث4ب/4758 تاريخ 2021/9/22، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2021/12/17 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.

يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان ـ امانة السر ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 100/ل.ل.

علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الاحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.

تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.

بيروت في 2021/11/12

بتفويض من المدير العام

مدير الشؤون المشتركة بالإنابة

المهندس واصف حنيني

التكليف 940

إعلان

تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لشراء مرحلات حماية لزوم صيانة خلايا التوتر المتوسط في محطات التحويل الرئيسية، وذلك لتبديل المرحلات القديمة نوع 2000 Sepam، موضوع استدراج العروض رقم ث4ب/172 تاريخ 2021/1/13، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2021/12/17 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.

يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان ـ امانة السر ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 100/ل.ل.

علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الاحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.

تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.

بيروت في 2021/11/12

بتفويض من المدير العام

مدير الشؤون المشتركة بالإنابة

المهندس واصف حنيني

التكليف 940

إعلان

تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لشراء مرحلات حماية لزوم صيانة خلايا التوتر المتوسط في محطات التحويل الرئيسية، وذلك لتبديل المرحلات القديمة نوع 2000 Sepam، موضوع استدراج العروض رقم ث4ب/172 تاريخ 2021/1/13، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2021/12/17 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.

يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان ـ امانة السر ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 100/ل.ل.

علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الاحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.

تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.

بيروت في 2021/11/12

بتفويض من المدير العام

مدير الشؤون المشتركة بالإنابة

المهندس واصف حنيني

التكليف 940

إعلان من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا

طلبت بسمه محمد صبره بوكالتها عن فارس عبد الحسن ملحم شهادة قيد بدل ضائع في العقار 1252 مجدل سلم.

للمعترض 15 يوماً للمراجعة أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا

يوسف شكر

إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
www.al-akhbar.com
الأخبار al-akhbar
هاتف 01-759500
واتساب 71-513571
فاكس 01-759597

استراحة

كلمات متقاطعة 3891

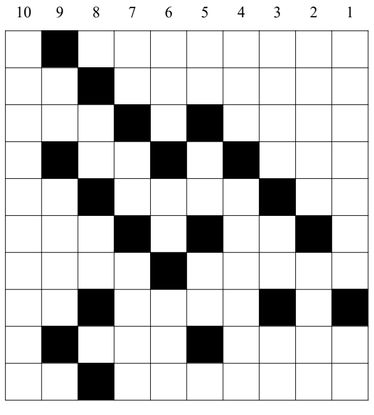

افقيا

1- مخزن العتاد الحربي – 2- ماركة سيارات – حرف جر – 3- طمانينة – مدخول شهري – 4- مخافة وفزع – فك العقدة – 5- قرع الجرس – من الحيوانات – طعن بالإبرة – 6- للتعريف – وكالة انباء عربية – 7- مدينة مغربية – شجر مثمر – 8- طحين – هر بالأجنبية – 9- دولة أميركية – قرض ذو أجل – 10- معركة انهت وجود المماليك في الشرق – سقي النبات

عمودياً

1- جريدة مصرية – أغلظ اوتار العود – 2- من الفاكهة – يمشي – 3- إبل – أمر فظيع – حرّك بشدة – 4- مدينة ألمانية – الخصم العنيد – 5- حرير – غير مقيّد – عكسها كذب مهيّأ – 6- من الحيوانات – لحم غير مطبوخ – مشى على قدميه ورجليه كالطفل – 7- متشابهان – ود – من الأحجار الكريمة – 8- عائلة – واحد بالأجنبية – 9- غير ناضج من الفاكهة – وطواط الليل – 10- من أئمة اللغة والأدب في بلاد فارس أشهر مؤلفاته " القاموس المحيط "

حلول الشبكة السابقة

افقيا

1- بني عثمان – 2- ورع – ورم – اف – 3- دولار – يقر – 4- أم – باندا – 5- الب – ند – 6- سيبويه – هوت – 7- تفّ – مر – قادم – 8- رن – وجار – 9- ال – رت – ري – 10- جديدة – ملحن

عمودياً

1- بودابست – أجّ – 2- نرورم – يفرّ – 3- يعلّ – اب – ناي – 4- اللوم – لد – 5- ثور – بيرو – 6- مر – جر – 7- أميان – قاتم – 8- قندهار – 9- أرد – ود – رح – 10- سف – التمرين

3891 sudoku

		9	5		4		1	
8	3			7		4		
				1		9	7	3
3			7		6			4
		7				2	6	
6		4	2		1			
	4	6		8		7		
		8						6
	1		4				9	

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3890

2	3	1	7	5	8	9	4	6
7	8	6	1	4	9	2	3	5
5	9	4	2	6	3	1	7	8
9	7	2	4	8	5	6	1	3
4	5	8	3	1	6	7	9	2
6	1	3	9	7	2	8	5	4
8	6	7	5	9	4	3	2	1
3	4	9	6	2	1	5	8	7
1	2	5	8	3	7	4	6	9

مشاهير 3891

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

وزير خاجية فرنسا في حكومة فرنسوا فيون وطبيب فرنسي مؤسس أطباء بلا حدود. أتى الى لبنان مراراً في مهمات خدماتية وإنسانية

1+2+3+4+6+9+10+5 = جبل نار ■ 7+9+10+5 = ماركة سيارات فرنسية ■ 8+11 = خلاف خير

إعداد نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: احمد سوكارنو

الأخبار
al-akhbar
السبت 20 تشرين الثاني 2021 العدد 4494

تحيـة

غلافا أسطوانتين (45 و33 دورة) حمل مقتطفات من حفلات بعلبك 1959 (المصوّر مانوغ)

فيروز في عيدها السادس والثمانين

أحمد شمس الدين

عيد ميلاد فيروز (21 تشرين الثاني/ نوفمبر 1935) مناسبة للتذكير بأنّ أرشيفها الضخم لا يزال ينتظر مؤسسة تجمعه وتحفظه وتتيحه للمهتمين. مثال عن هذا الأرشيف الضائع: ألبوم التسجيل الحيّ الأوّل لفيروز، الذي كان متوافراً في القرن الماضي (على أسطوانات وأشرطة) ولم يصدر يوماً على أقراص مدمجة. اليوم، لا يمكن سماعه إلا عبر يوتيوب، بنوعية صوت رديئة، وبدون أي نصّ يشرح ظروف التسجيل أو يشير إلى علاماته الفارقة.

«الفرقة الشعبية اللبنانية»

في عام 1959، عاد «مهرجان بعلبك» بعد انقطاع بسبب أحداث 1958 الدامية، وعاد الفن الشعبي اللبناني بمشاركة أساسية للأخوين رحباني وفيروز الذين أتبعوا حفلات بعلبك الخمس بحفلتين، كانتا الأوليين لهم، في «معرض دمشق الدولي» في أيلول (سبتمبر). في «مهرجان بعلبك 1959»، ولدت «الفرقة الشعبية اللبنانية» وسُجِّلت في السجل التجاري في أوائل عام 1960. أسّس الأخوان رحباني هذه الفرقة مع المخرج والمنتج ورفيق دربهما صبري الشريف، وكان هدفها إحياء التراث الشعبي اللبناني والعربي. بالفعل، كانت حفلات بعلبك عام 1959 عِبارة عن مشاهد يطغى عليها الطابع التراثي، مجموعةً في فصلين: الأوّل من تأليف وتلحين زكي ناصيف وقائد الأوركسترا توفيق الباشا، مع مشاركة محدودة لفيروز والأخوين رحباني. أما الفصل الثاني، فتولّاه الأخوان بشكل شبه كامل: تدور قصة هذا الفصل حول «هيفا» (فيروز)، فتاة قرويّة بسيطة تسرق قلوب الشبّان، فيسرقون عنزتها. تمضي في البحث عنها، وحين ينكشف أمر السارقين، يحكم المختار (وديع الصافي) على الشبان بالرقص وعلى هيفا بالغناء. يتضمن الفصل محاورات غنائية ومشاهد مرحة مع فيلمون وهبي ورقصات إيحائية ودبكات (تصميم مروان ووديعة جرّار) وأغنيات لفيروز («يا قمر أنا وياك»، «ما في حدا»، «يا تلال صنوبر»، بعضها بنسخ آلاتيّة: «حبيتك والشوق انقال»، «غمارنا عكتافنا تزيد»، «يا مايلة عالغصون»، «هيك مشق الزعرورة»). كما يشارك في الغناء كل من وديع الصافي (البير...)، والمغنية الذائعة الصيت وقتها رنده ونصري شمس الدين.

أول تسجيل حيّ

أثناء المهرجان، تداولت الصحف أنه بناءً على طلب القائمين على حفلات الفنّ الشعبي، قام رجال الدرك بمصادرة آلات تسجيل صغيرة كان قد حملها كثيرون إلى القلعة لتسجيل أغنيات فيروز خلال هذه الحفلات. في آذار (مارس) 1960، صدر التسجيل الحيّ الرسمي لمهرجان 1959 (الفصل الثاني فقط وليس كاملاً) على أسطوانة من التسجيل الطويل (33 دورة، و12 إنشاً)، ولمّح الناقد وصديق الأخوين نجاة قصاب حسن (1920. 1997) إلى مسألة مسجِّلات الهُواة، في نص رافق الأسطوانة، غير المألوفة آنذاك لا شكلاً ولا مضموناً، إذ إن بداية الستينيات كانت فترة انتقالية بين عهدَي أسطوانات الشيلاك (78 دورة) والفينيل (45 و33 دورة). وهذه الأخيرة هي التي سمحت للأخوين رحباني بتسويق أعمال طويلة، من اسكتشات غنائية ومسرحيات وحفلات حية. أسطوانة مهرجان 1959 هي أول إصدار لتسجيل حيّ لفيروز، لكن اسمها لم يُذكر على غلاف الأسطوانة التي حملت عنوان «مهرجانات بعلبك الدولية - الفرقة الشعبية اللبنانية» (1)، ولم تزيّنها أي صورة لفيروز، بل صورة لمعبد باخوس وأخرى للمسرح والمجموعة.

> **في عام 1959، عاد «مهرجان بعلبك» بعد انقطاع بسبب أحداث 1958 الدامية، وعاد الفن الشعبي اللبناني بمشاركة أساسية للأخوين رحباني وفيروز**
>
> **تدور القصة حول الفتاة القروية «هيفا» (فيروز) التي تسرق قلوب الشبّان، فيسرقون عنزتها**

الأسطوانة بطبعاتها المختلفة

في عام 1960، طُبعت الأسطوانة في إنكلترا تحت علامة «بارلوفون» في معامل «إي. أم. آي» لحساب شركة «صوت الشرق» (لم يكن في لبنان مصانع لطبع الأسطوانات قبل عام 1964). وطُبعت منها مقتطفات على أسطوانات 45 دورة في إنكلترا وفرنسا. نالت الأسطوانة شهرةً واسعة، حتى وصلت إلى أميركا الجنوبية حيث طُبعت نسخ منها في تشيلي والبرازيل والأرجنتين (بعد رحلة فيروز إلى أميركا الجنوبية عام 1961) وكُتب أنّها «وثيقة ثمينة لكل مهتمّ بالموسيقى الفولكلورية» (جريدة «دجياريو دا نويتشيه»، ريو دي جانيرو، شباط/ فبراير 1962). في عام 1974، أعادت شركة «إي.أم.آي» طبع الأسطوانة في اليونان، بعدما حوّلت التسجيل إلكترونياً من «مونو» إلى «ستيريو». إلى جانب هذا التغيير التقني وتعديل غلاف الأسطوانة الذي أضيفت إليه ثلاث صور لفيروز، هناك اختلافات في المضمون بين طبعتَي 1960 و 1974. معظم الفروقات بين النسختين يتعلق بالمونتاج وبالتصفيق الذي تمّت زيادته في النسخة الأولى والذي يتضح أنّه لم يكن دائماً حماسياً (وهذا أمر تكلم عنه عاصي الرحباني بمرارة في إحدى مقابلاته في الستينيات).

لكنّ الفرق الأهم هو في أغنية «ما في حدا»: لقد تم استبدال النسخة الأولى منها بنسخة أخرى مختلفة بنواحٍ عدة، أهمها طريقة غناء فيروز الانسيابية. إضافة إلى أنه في نسخة 1960، كان بين «ما في حدا» والمقطوعة الموسيقية التي تسبقها، تصفيق حادّ طمس البداية الموسيقية للأغنية، بينما في النسخة الثانية، الأغنية متصلة بما يسبقها بدون أي مونتاج ولا تصفيق: بعد نقرات عازف البيانو بوغوص جلاليان المهيبة، ينساب صوت فيروز الذي «شفّ [...] حتى ترى من خلاله أعماق النفس الإنسانية الحلوة الغنية المهذّبة» (2).

(1) العنوان بالإنكليزية: Folk songs from Ba'albak
(2) من نص نجاة قصاب حسن الذي طُبع على الغلاف الخلفي للأسطوانة.

الأخبار
al-akhbar

السبت 20 تشرين الثاني 2021
العدد 4494 السنة السادسة عشرة
Samedi 20 Novembre 2021 nº 4494 16ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

إيتل عدنان

أنا امرأة
أأكون الأرض الأم؟
أنا نصف الكون
ألا أصير أبداً كائناً مكتملاً؟
أنا الصّمت الذي يحيطني
أنا الحديقة الخاوية
أسرع زوالاً من غيمة
أنا نقطة.

* كتاب إيتل عدنان «تلك السّماء غير الموجودة» (ترجمة خالد النجار)

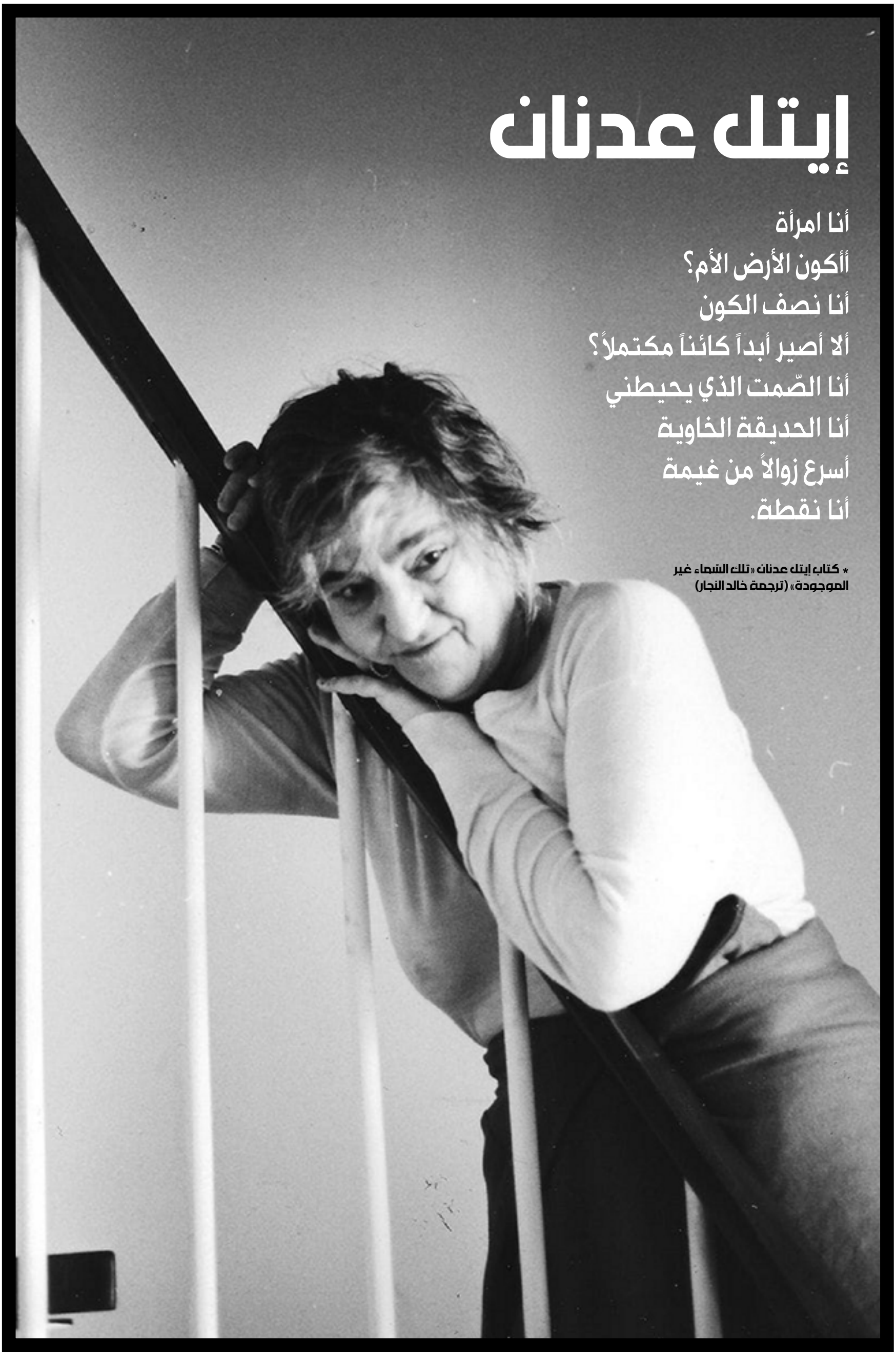

إيتل عدنان بعدسة رفيقة دربها الفنانة سيمون فتّال في نيويورك عام 1979

ملف

إيتل عدنان... اقترنت بالنور

الناجية من أهوال القرن العشرين احتفظت بـ «جوهرة القلب»

محمد ناصر الدين

«اقترنت بالنور، وأنجبتُ الأجنّة
أنا نهر يا حبيبي،
ولا تستطيع إلّا أن تبكي على شاطئي».

كانت إيتل عدنان (1925 ـ 2021) تشبه تلك الأنهار الربيعية التي تبدّ الشعر في الأرض وترغم الطبيعة أن تكون شاعرية. إنّها روح خضراء تتنفّس شعراً رسماً وتسيل على الورق والقماش من دون مكابدة أو تصنّع أو تكلّف، فتحمل الكلمة ريشة ويحمل اللون قلماً، كأنها ماء النهر يجري من تلقاء نفسه، فيتحول الفضاء بأسره إلى رئة للشعر ومجرى للرسم: ولدت إيتل عدنان ـ من تقاطعات تشبه تلك التي تَسم الجداول التي تشكّل النهر ـ عام 1925 من أمّ يونانية أرثوذوكسية من سميرنا، وأب سوري مسلم من دمشق تلقّى تنشئته العسكرية العالية كضابط في الجيش العثماني، إلى جانب مصطفى أتاتورك. جسّدت إيتل أفضل ما يمكن أن يتمخّض عن هذا التقاطع بين الشرق والغرب، وفي فترة حساسة للغاية في تاريخ الشرق عموماً وبلاد الشام على نحو خاص، بين تفكّك الإمبراطورية العثمانية وغليان كل بلدان المنطقة التي فجّر فيها الاستعمار والحروب والحلم القومي المستحيل كل أنواع الخصومات والمناحرات الدينية والثقافية والسياسية ووضعها على فالق الزلازل. أُذّن الفتاة التي انتقلت مع عائلتها إلى بيروت، كانت تسمع في المدينة الكوسموبوليتية كل أنواع الألسنة: من الفرنسية التي تتابع بها دروسها في مدرسة كاثوليكية في بيروت، إلى العربية التي تخاطب بها الأولاد الذين تلعب معهم في الشارع، إلى لكنات وأصوات كردية وأرمنية وشركسية ولهجات لكل الشعوب التي حملت أوطانها وغسيلها الموشّح بالغبار والدم إلى المدينة التي كانت «عاصفة صغيرة من حرب ومتعة، كنا نرى البحر من كل الجهات؛ إنها مدينة متوسطية بسطوح من القرميد الأحمر وبيوت ذات طابع عمراني إيطالي. السيارات وقتها كانت نادرة والشوارع تعبق برائحة الياسمين والبرتقال». مشهدية حوّلت روح الفتاة الصغيرة إلى ما يشبه السجادة المزركشة بالخطوط الملونة لأكثر من حياة عاشتها، ومصبّاً لكل روافد الفنون: الفن التشكيلي، والأعمال الحَرَفية، والشعر والرواية والمسرح في تماثل مع بيروت تلك التي كانت تجمع في تناقضاتها الأكثر عالمية إلى الأكثر حميمية. وهو ما أشارت إليه عدنان صراحة في عنوان أحد كتبها La vie est un tissage الصادر في باريس عام 2016، أو أشبه بتلك الدفاتر اليابانية «الليبوريلو» ذوات الطيات العديدة التي اكتشفتها عدنان في سان فرانسيسكو عام 1964 وعرفت مباشرة أنها تشبه روحها في استثنائية التمازج بين الكلمة واللون وانسيابية النهر.

> كانت أول من قارن بين ماساة الهندي الاحمر واقتلاع الفلسطيني من ارضه في آخر قضية كولونيالية في التاريخ

كتبت عليها في ما بعد بخط اليد قصائدها ونصوصاً للمتنبي، وأنسي الحاج، وبدر شاكر السياب، ومحمود درويش، وأدونيس، والياس خوري وعيسى مخلوف وغيرهم: (في عام 1964، اكتشفت هذه الدفاتر اليابانية القابلة لطي الأكورديون والتي قام فيها الرسامون اليابانيون بمطابقة الرسومات والنصوص والقصائد... ووجدتها في متجر في سان فرانسيسكو حيث اشتراها الناس لإنجاز البومات عائلية. تخيّلت على الفور أن هذا سيكون بديلاً رائعاً للتنسيق المربّع أو المستطيل للصفحة؛ كما لو كنت تكتب النهر نفسه». بُعيد وفاة والدها في أربعينيات القرن الماضي، حصلت إيتل عدنان على منحة لدراسة الفلسفة في «السوربون» حيث سيبدأ وعيها السياسي والثقافي بالتشكّل بعد التعرّف إلى فكر سارتر، والوجودية التي كانت تؤكد إمكانية وجود اختلافات بلا ديانة وانبثاق للقيم من الحرية، القيمة الأولى بلا منازع، ما حرّرها من ربقة التعاليم المدرسية الكاثوليكية، فعاشت في السكن الجامعي الأميركي حيث أفادت من فسحة التلاقي بين الجنسيات. والأهم كانت رحلتها القصيرة لباريس التي ستعود إليها لاحقاً للإقامة الدائمة، إذ إنها أثّرت في إيتل عدنان تأثيراً ثلاثي الأبعاد، فسمحت لها بداية بتشكيل حساسيتها الشعرية «أعشق نافورة ميدتشي، لذلك أبطئ الخطى، أتطلّع إليها، ألاحق سطحها المتموّج، أعوم (ذهنياً) مع أسماكها، أقترب بقدر المستطاع من جوهر ظلالها الخضر التي تجعل قلبي يخفق. بعد ذلك، أطير بتمهّل فوقها، نعيش بلا أقواس وانعكاسات؟ لا؛ إنه كالعيش بلا ماء». كذلك، تعرّفت إلى إيتيان سوريو الذي سيستحصل لها على منحة للدراسة في «جامعة بيركلي» في الولايات المتحدة عام 1955. أما البعد الثالث المهم، فهو أنّ باريس وضعتها على تماس مع قضايا الاستعمار، ولا سيما حرب الجزائر ونضالها ضد الاستعمار الفرنسي «في المقهى، تجلس صديقتي كلود ومعها كتاب شعر. لا يدور بيننا أي حديث مهم سوى أنّ باريس جميلة. ولكن، كلمة «جميلة» كذلك؟ أستطيع أن أثق دائماً بمدينة ذات جسور، بغضّ النظر عن الألم. ففي المعلّق شيء شبيه بالأمل. إنه اقتحام لحيّز فارغ؛ تيار حياة إزاء الموت، وانعكاسات: هل بإمكاننا أن نعيش بلا أقواس وانعكاسات؟ لا؛ إنه كالعيش بلا ماء». كذلك، تعرّفت إلى إيتيان سوريو الذي سيستحصل لها على منحة للدراسة في «جامعة بيركلي» في الولايات المتحدة عام 1955. أما البعد الثالث المهم، فهو أنّ باريس وضعتها على تماس مع قضايا الاستعمار، ولا سيما حرب الجزائر ونضالها ضد الاستعمار الفرنسي «في المقهى، تجلس صديقتي كلود ومعها كتاب شعر. لا يدور بيننا أي حديث مهم سوى أنّ باريس جميلة. ولكن، كلمة «جميلة» تلك تتضمن قروناً من حياة وحروب، وأشياء عن العمل والإيمان والوفيات. باريس جميلة بكل تأكيد، وهي آخر مدينة عظيمة في العالم حافظت على روحها، وتعمل مثل ماكينة زُيّتت بشكل جيد. بوسع كلود أن تقول ذلك بكل براءة، ولكن قوله أشد صعوبة عليّ. وأشدّ إيلاماً أيضاً. إنه يمزّقني إرباً. فباريس قلب القوة الكولونيالية الباقية على قيد الحياة، وهذا إدراك يرافقني كل ليلة إلى سريري». خلق هذا في داخلها الإشكالية الكبرى التي عاشها مالك حداد، وكاتب ياسين، وأسيا جبار وغيرهم حول التفكير بلغة المستعمر والتعبير بها شعراً ونثراً. ولو أن إيتل لم تحول اللغة إلى «مخزن ذخيرة» يحارب به الكتاب الفرنكوفونيون فرنسا بسلاحها، إلا أنها لم تستنكف عن مناصرة قضايا المظلومين والمستعمَرين في العالم، وبخاصة بعد انتقالها إلى الولايات المتحدة ومناهضتها لغزو فيتنام في قصيدة وضعتها مباشرة على الخارطة الشعرية الأميركية، فكانت إيتل أول من قارن بين مأساة الهندي الأحمر واقتلاع الفلسطيني من بيته وأرضه وبيارته وزيتونه في آخر قضية كولونيالية في التاريخ. وكان كتابها الأشهر «الست ماري روز» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ ترجمة جيروم شاهين ـ 1979) الذي يروي قصة امرأة لبنانية مسيحية تحافظ على فسحة الجمال في داخلها رغم بشاعة الحرب وقباحتها، فتنشئ مدرسة للصمّ والبكم وتلتزم جهاراً بالقضية الفلسطينية من خلال إنشاء «جمعية أصدقاء القدس» لتاتي حرب الأهلية في إعصار عنفها الدموي وتُختطف ماري روز وتُجرى لها محاكمة تنتهي بإدانتها وإعدامها. لكن فيما يحاكم الجناة والانعزاليون القديسة، تنقلب الأدوار ويصبحون هم في قفص الاتهام، فتقلّب إيتل عدنان في الكتاب كل دوافع العنف في المجتمع اللبناني، وتكشف ترسبات وظواهر الذهنية العشائرية والقبلية والطائفية، هي التي بعدما استقرّت في الولايات المتحدة وأجبرت نفسها على الكتابة الشعرية باللغة الإنكليزية «دخلت اللغة الإنكليزية مثل مكتشف. كل كلمة كانت تولد حيّة، وكل تعبير كان إبداعاً... كانت الكتابة ضرباً من الرياضة، والجُمل، بكل ما تحمله من طاقات مخزونة، خيلاً من الممتع ركوبها لاقتحام الفضاء المفتوح أمامها».

بعد مسيرة تعليمية لربع قرن في جامعة كاليفورنيا، ما لبثت أن قامت بهجرة معاكسة نحو بيروت عام 1972 لتشارك في نهضة بيروت الثقافية الهائلة، فعُهدت إليها رئاسة تحرير ملحق ثقافي لصحيفة ناطقة بالفرنسية (الصفا) قبل أن تندلع الحرب الأهلية عام 1975 فتقضي على أحلام المثقفين بمدينة كوسموبوليتية جديدة من حرية وكلمة ولون ونغمة، فترحل إيتل مفجوعة من دمار المدينة وقيام المسلحين الكتائبيين بقتل ماري روز بولس التي خلّدتها في روايتها (نُقلت إلى أكثر من 12 لغة)، موذعة المدينة ذات الوجه المحروق لمرّة أخيرة: «ولدنا في الأصل من الحزن، لذلك أفراحنا صاخبة وتنتهي بإحراق الأطفال والبيوت». رجعت إيتل عدنان بعد المقتلة اللبنانية إلى كاليفورنيا الشمالية، ولكي تُعثر على نقطة ارتكاز شعرية جديدة بعد كل أهوال العنف، انبهرت بجبل تاماليايس، قمة النطاق الساحلي بالقرب من سان فرانسيسكو الذي صار محجّاً دائماً لها تلحظ من قمته تغيّرات الأضواء، ووجود الغيوم، وتبدأ في تمثيلها رسماً وشعراً. كانت الكتابة لديها بمثابة الـ Yin في الفلسفة الصينية في مقابل اليانغ الذي هو الرسم. وقد كانت حساسية عدنان متيقّظة لكل تلك الثنائيات اللغوية والكونية الشعرية. ففي حديث سابق مع «الأخبار» عام 2016، تقول: «كلمة «بحر» مثلاً في العربية مذكّر ترمز إلى شاب فتيّ يتحدى العاصفة. في الفرنسية، كلمة «بحر» مؤنّثة تجرّ معها صوراً أمومية لبَنة. أما في الإنكليزية فهي محايدة تماماً... ما تقوله بسهولة في لغة ما، يتعذّر قوله في لغة أخرى، فضلاً عن أن لكل لغة موسيقاها الخاصة. لذلك لا نجد شكسبير فرنسياً، الفرنسية لغة مسطحة نوعاً ما، هادئة. أما الإنكليزية، فتشعرين أنّ الريح تخترقها، حاولي نطق كلمة wind. في المجال العلمي، نقول الشيء نفسه تقريباً بكل اللغات. أما في الشعر، فيختلف الأمر كثيراً لأنه مرتبط بالأعماق، بالرغبات والجموح. إذاً اللغة نفسها تأتي بعالم كامل معها. لا أعرف ما الذي كنت أستطيع كتابته لو تعلمتُ العربية، إنها جنتي الضائعة، المغلقة إلى الأبد».

ظلّت إيتل عدنان حتى النفس الأخير محتفظة بروح الطفلة التي تلعب في أزقة بيروت، لكنها طفلة بالف عام، لا تني تدمج الريشة بالقلم، وتسائل الحروب، وتكتب حول الوضعية الصعبة للمرأة والمظلومين والمهمّشين في عالم يزداد ضيقاً وتعصباً وعنصرية بدل أن تضخ فيه الثورة الرقمية والتقنية وسقوط الإيديولوجيات الكبرى روحاً تنويرية أكثر رحابة وتسامحاً. كان الفتاة الناجية من كل أهوال القرن العشرين، قد احتفظت بـ «جوهرة القلب» بتعبير حافظ الشيرازي، ونات بروحها عن كل ما يهشّم الكائنات، ونقاء ضميرها أمام سكوت الكثير من المثقفين أمام مسح الغول الأميركي لكل الإرث الثقافي في بلاد الرافدين؛ «النار تلتهم عقولاً من الماضي. إنه تفكيك حضارة، يعدو الحلاج هائجاً ليعلن «أنا الحقّ» من أي منبر يراه، فتشبّ النار في أصابع قدميه وأذنيه وشعره. كل ذلك جُعل إلى الأبد في طيّ المجهول بإغتصاب بغداد في يوم من نيسان». رحلت إيتل عدنان، تلك التي كانت تستطيع من كلمتين أو ثلاث لا أكثر، أن تصنع قصيدة «قلت قصيدة في الأعماق طلاسمَ لو كنت دولة، لكنت دمّرت مدينة». كما بيكاسو الذي كان بمقدوره صناعة لوحة بلون واحد، رحلت صاحبة «قصائد الزيزفون» و«عن مدن ونساء» و«رحلة إلى جبل تمالبايس» و«باريس عندما تتعرّى» التي وصفت نفسها يوماً بأنها ترسم بالعربية، وأنها من عابري سبيل هذه الأرض المحمّلين حبّاً وشعراً ولوناً ونشدانا للعدالة والضمير: «أن لا يصيبنا اليأس حيال الماضي/ ولا ننسى/ أن نكون على يقين أن العدالة ستنتصر/ في أحد الأيام»: ماتت إيتل واضطربت أوراق الزيزفون حين أجّل النهر تجذده.

مقطع من «الست ماري روز»

الشبّان الأربعة هؤلاء، الجالسون في هذه الغرفة ليسوا قضاة وحسب. إنهم أيضاً ضحايا سلسلة، طويلة وقديمة، من الاستسلامات للقدر. قرارات المجموعة هي وحدها الشيء الوحيد الذي يجب الدفاع عنه وتنفيذه بأية وسيلة. يتأقبون لكي يصبحوا جلّادين فيما يعتقدون أنهم قضاة عدل. تدفعهم جنسانية مريضة، وحبّ مجنون، حيث تطغى صورة السّحق والصرخة. وليس ذلك لأنهم حرموا من المرأة، بل لأن اشمئزازاً عميقاً من الجنس يسكنهم. ثمة شعور بوساخة اللذة يقلقهم ويبقيهم في عطش مستمر. وهكذا يصرفون طاقتهم الانفعالية المكبوتة بواسطة العنف الذي يمزّق، ويقتل. ويفني. وعندما تختزع شعوب أخرى، لهوسها بالنظافة، مواد كيميائية فعالة، لا ينفكّون هم، يستعملون لغة إبادة الشعوب البدائية المطلقة، ولا يكسبون في هذه الصراعات العشائرية الأراضي الأفق غريب أو إنسان غير محبوب، وعندما ينمو بُغضه كمحروم، ويكبر أمام العيون، كالنبتة في غابة موحشة، لا تنتظر أن يقف الشتاء لتتكاثر. عندما يقف المحبوب من أمّه والمبارك بالغنى، فيأخذ بنذقيته ويبدأ بالهجوم. يشعر أنه الأقوى ولا يعرف أن رصاصاً سوف يكتب على صدره العاري كلاماً دموياً، قاتلاً. هو أيضاً كالغريب، سوف يغيب.

(المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ ترجمة جيروم شاهين ـ 1979)

بحثاً عن «ايتيل» *

«ارتمى الفصلُ في مطلع الصباح/ والنجمةُ المطاطة ثقبت السماء/ البحرُ غارقٌ في حطام سفينة».

(إيتيل عدنان ــ «كتاب الموت»)

بيار أبي صعب

أبحثُ عن إيتيل عدنان. هنا والآن. في مدينة تبحثُ عن نفسها. لا تكفي الكلماتُ والألوان. لا بدّ لي من أن ألمسَ بيديّ المرآةَ الشفّافة التي تحوم دائماً في مكان قريب. المسافرة، المترحّلة، الغريبة عن الأوطان، ربيبةُ المنفى الحميم، منفي الداخل. أسمعُ صوتها الأليف، وأقول لا بدّ من أن أجدها يوماً. «هل سبق لكِ أن حاولتِ ارتقاء الهواء بكل الوسائل المتاحة؟ الملائكةُ تفعل ذلك، اعتماداً على اسمائها، وتساعدها في ذلك الحرارة (...) إنّها تفوقنا عدداً، هنا بالذات، حضورها يبعث على الاختناق، هذا ما لم نتحدّثْ عنه أبداً. هل فعلنا؟ ولمَ؟ ومن يدري؟» (هناك).

أبحثُ عن إيتيل بين تركيا واليونان، سورية ولبنان. بين خمسينيات بيروت، وستينيات باريس، وسبعينيات كاليفورنيا. بين الحرب الأهليّة، والاجتياح الإسرائيلي، وحرب تمّوز. بين العصر الذهبي وزمن الانحطاط. أبحث عنها بين إيتيل وإيتيل. بين مشاغلَ سياسيّة ونصّ حميم. بين قصائد ودفاتر يابانيّة ولوحات ورسائل، بين رواية ومسرحيّة، بين تصويريّة وتجريد، فلسفةٍ وشعر، مسيحيّةٍ وإسلام. أبحث عن المرأة التي صارت «صديقةً للماء»، وجارةً لجبل TAMALPAIS. أبحث عن أغنيةٍ ضاعت، «في جوار الحب»، «في انكسار النور»، في «خرير جدول».

نعم إيتيل عدنان. العابرةُ بنعال من ريح، كما قال فيرلين مرّة عن عشيقه رامبو. تحكي قليلاً وتغيب. تنتظر الوحيَ، تلك اللحظةَ السحريّة حين تأتي الكلمات، فتروحُ ترصُفها من دون وعيٍ على الورق. إيتيل بين حلم ويقظة.

«رأيت حُلماً عن مجرى بين جَهنّم والجنّة. عندما يكون أحدُنا سيداً يتدفّق مجرى النهر هذا صعوداً، وعندما يكون العبدَ فالمجرى نزولٌ إلى الجحيم. لكنّ، أحياناً، يسبح واحدُنا في اتجاه معاكس للتيار، فيذهبُ النهر إلى الجنّة، والسابحُ إلى القاع. تلك هي عمليّة الخلق» (تماليايس).

منذ زمن وأنا أبحث عن إيتيل عدنان. اقتفي أثرها، من خلال علامات منسيّة، تنثرها وراءها، هنا وهناك، على طريقي. كبرتُ، والطريق طالت، وأنا أبحث عن هذه الجنّيّة في نص يحكي عن الحروب، والرحيل الدائم، والحبّ الخافت، والناس الغاضبين.

«أين كنتَ عندما نشبتِ الحرب، الحربُ الواحدة والحروب العديدة، لتحيلَ شعوباً كاملة إلى صفوفٍ طويلةٍ من الخراف؟» (هناك).

أبحث بين بوب ويلسون وزاد ملتقي، بين جنين وبغداد. بين ماء وزيت، وسَجاد وخزف، بين الإمبراطوريّة العثمانيّة وأرخبيلات العولمة، بين المرأة والمرآة. بين «ميتزو باستيّ» ونهر «الكولورادو». بين الفيتنام والجزائر. بين دينوزيوس وسافو، بول كلي وبدر شاكر السيّاب. بين قسوةٍ وسذاجة. فرنسيّةٍ وانكليزيّة. بين اتّساع اللّون وضيق العبارة. بين الحاضر والحاضر. بين بيوت تحترق و«هذه السماء الغائبة». بين حبّ وحبّ، أملٍ وخيبة، غربةٍ وغربة، يأسٍ ونضال، بين «باريس عندما تتعرّى» وبيروت إذ تفتح «كتابَ البحر».

«أودّ أن يكون الفردوسُ مكاناً أستطيع أن آذهبَ إليه وأكلّم بول كلي. معاً سننظر إلى دوائر، ونرى فيها نُقَطاً. وفي تلك النُّقَطِ سنكتشف أكواناً. وسنزور فيها كلَّ البيوتِ التي رسمَها» (تماليايس).

بلى إنّها هي. عرفتها من الصورة. لم أرَها إلا بذلك الشعر القصير، الأبيض. يذكّرني ببيروت السبعينيات، بمدن لم أعرفها إلا عن طريق الأخبار والشائعات. بلهجةٍ لم أسمعُها من قبل. أبحثُ عن إيتيل عدنان بين «الكتابة بلغة أجنبيّة» والرسم بالعربيّة. بين لغة لها تحملها في الأعماق طلاسمُ وإشارات، ولغةٍ غريبة استوطنتها ورسمتْ بها طلاسمَ أخرى وإشارات.

«أنتِ ملاكُ ميت/ ممدّد في جسدي/ طيرٌ عائد إلى الطين/ مطرُ شتاء في عظامي يقيم/ بقايا سفينةٍ/ نسيَها البحر/ شمسٌ مطفأةٌ تقيّأها فم طفل/ أنت ملاكُ ميت/ ممدّدٌ في جسدي/ (...) أنتِ امرأةٌ/ فوق صدريَ العاري/ بلا حياة» (كتاب الموت).

أبحثُ بين بودا وماريلين مونرو، بين الحوادثِ العابرة وزلازل التاريخ.

«جنح نهرُ كولومبيا عن مساره/ كنا نمارس الحبَّ فوق الأريكة/ دخل الرجل العنكبوت من النافذة/ رنّ جرسُ الهاتف/ وتفرّجنا على التلفزيون» (نيويورك).

أبحث بين القدر والمصادفة، بين الأبوكاليبس وملذات الحياة الصغيرة، بين الإحساس والفكرة، بين الجسد والمدينة، بين بناية «الست ماري روز» ومخيّم تل الزعتر.

«كنتُ أستطيع أن آذهبَ إلى المقهى المجاور/ أتأمّلُ البرد وهو ينسلّ في الخارج/ فيما أتنعّم بالدفء، أو حتّى بممارسةِ الحبّ.../ بيد أن القنابلَ كانت تنهمرُ على بغداد» (يوم 27 أكتوبر 2003).

أبحثُ بين «سفر القيامة العربي» و«الهنديّ الذي لم يمتلك حصاناً في حياته».

«للهربِ من ثقب الهواء/ الذي أحدثته قنبلةٌ في إحدى/ ضواحي بغداد أعيد قراءة/ كلمات السيّاب» (الجمعة 25 مارس في الرابعة بعض الظهر).

أبحث بين لوحة لإيتيل عدنان ولوحة لسيمون فتّال، بين قلب وقلب، بلد و«بلد آخر»، طفولة وكهولة... بين الهويّة والتاريخ، المدنيّة والطبيعة، «مقهى الإكسبريس» وما تبقّى لنا من أرصفة. بين سركون بولص وخالد النجّار، بين همس وصراخ، رقّة وغضب، بين الذات والواقع، بين المستتر والملموس، بين المجاز والمعنى، بين اللغة/ الأم والوطن/ المنفى.

«هذا المساء سأنام مبكّراً يا أصدقائي/ لأن الظلمة تكاثفت كثيراً. وسأحاول/ ألا تجرفُني الفيضانات/ كما اعتدتُ أن أراني في الأحلام/ وسأحاولُ ألاّ أضيّعُ المفتاح/ وأن أنام مثلما ينام الأطفال/ كما أظن». (يوم 27 أكتوبر)

أبحث عن إيتيل عدنان. بين ميّ مظفّر وأمل ديبو، جيروم شاهين وفايز ملص، فوّاز طرابلسي وعابد عازريّة. بين «27 أكتوبر 2003» و«الجمعة 25 مارس في الرابعة بعد الظهر». بين ذلك البيت العائلي القديم في بيروت وبلاد الله الواسعة. بين رثاء عالمٍ يتفتّت وتمجيدٍ طفوليّ للحياة.

«... ورفض الليلُ أن يمطر على رؤوس الخرّاف، ورأينا البرقَ يختلط بالغيوم التي تضخّمت دماً ودموعاً، وراحت المادة تتحدّثُ مباشرة إلى الموتى الذين توقّفوا عن الإصغاء. أما الشعوب، فكانت قد فقدت صوتها، ومشينا على الشوك والقرّيص، واستنفدتْ عيوننا مفرداتِ الظلام. وعندما نزل، بعد المطر، ملاك لم يتمكّن أحد من إيجاد اسمٍ لهُ، راح يحصي الجراحَ لدى بعضهم، وعمليّاتِ البتر التي أجريت بسكاكين المطبخ لدى البعض الآخر، ودوّن الملاكُ كلّ شيءٍ في كتابٍ من الذهب والوحل (...)» (جنين).

أبحث عنها بين «يوم في نيويورك» وآخرَ في بيروت، في كتابة تكثّفت حتّى شفّت عنها اللغة. أبحث عن صبيّة تقف على الشاطئ، تخاطبُ الموجَ في مدينة بعيدة كأنها بيروت. عن اللغة الأنثى التي تحميها طباويّة الشباب من معتقلات التكريس وتحنيط الريادة. أبحثُ عن قصصٍ كثيرة لم تروِها لنا المرأةُ التي عَرفتِ الامتلاء.

«تتحدثين عن الشعر، كما يفعلون في بلاد العرب أحياناً مع جواسيسٍ سريّين. إن لم تكن الكلماتُ في الشوارع فهي باندة، قلتِ لي هذا وأصغيتُ إليكِ، بينما كانتِ البراءةُ متاحةً لنا» (هناك).

لكن مهلاً، يبدو أننا سنبحثُ طويلاً. هل نجدُها خارجَ بيروت؟ هل نجدُ بيروت خارج القصيدة؟ قصيدة إيتيل عدنان.

«... وتتمدّد ظلالي/ فوق جسدي عندما ينام،/ وتكفّ السماءُ عن أن تكونَ زرقاء/ والضوءُ ينتظر» (27 أكتوبر).

وحده الشعر قادر على تكثيف تلك الحيوات المعقّدة، والمشاعر الملتبسة. نحنُ، مواطني السراب، نحتفي هنا/ الآن بالمشاعر التي رأت.

«لو قلتُ لكِ أحبّكِ/ فهل تعتقدين أن الطائرات/ ستحلّقُ/ ليلاً؟» (نيويورك).

نحتضنُ هذه الشاهدة الصامتة على انهيار العالم، وامحاء المدينة، نعانق طيفَها الهارب. ألم تقل لنا إيتيل ـ طوال حياتها ـ إننا بالشعر، وبالشعر وحده، نعيد ترميم العالم؟

(*) القيت هذه الشهادة ضمن تظاهرة تكريميّة أقامتها نضال الأشقر في «مسرح المدينة» ـ بيروت، بين 13 و16 أيار (مايو) 2010.

الاقتباسات في النص مستقاة من كتب إيتيل عدنان الآتية:

- كتاب البحر، كتاب الليل، كتاب الموت، كتاب النهاية/ ترجمة عابد عازريّة، دار أمواج، بيروت 1994
- هناك ـ في ضياء، وظلمة النفس والآخر/ ترجمة سركون بولص، دار الجمل، كولونيا 2000
- يوم 27 تشرين الأوّل 2003 (بالفرنسية والعربيّة)/ ترجمة خالد النجّار، جبل التوباد، تونس 2004
- يوم في نيويورك (بالفرنسية والعربيّة)/ ترجمة خالد النجّار، جبل التوباد، تونس 2006
- الجمعة 25 آذار في الرابعة بعد الظهر (بالفرنسية والعربيّة)/ ترجمة خالد النجّار، جبل التوباد، تونس 2007
- رحلة إلى جبل تمالبايس ـ (مع 34 لوحة)/ ترجمة أمل ديبو Amers Editions، بيروت 2007

ملف

إيتل عدنان... اقترنت بالنور

«حرية الشعوب» (دفتر ليبوريللو - حبر وزيت وباستيل على ورق - 2011)

لوحاتها شعر بصريّ يذهب إلى أقاصي الروح

تغريد عبد العال

«تعيش في الألوان ككيانات ماورائيّة»، هكذا قالت ايتل عدنان عن فنّها. فقد بدأت ترسم عام 1960، عندما اتخذت قراراً بعدم الكتابة باللغة الفرنسية بعد الحرب الجزائرية. لا تدّعي ايتل أنها تعرف تلك العلاقة بين فنّها وكتابتها لأنّ هناك أسراراً كثيرة في هذا الكون، لكنها ترسم بسعادة وهو الشيء الذي يسعدها كما تقول. تأثرت ببول كلي، وكازيمير مالفيتش، وكاندينسكي ودولاكروا ومن المعاصرين: أغنيس مارتن، والألماني سيغمار بولك. أما الفرنسي نيكولا دو ستايل، فهو يمثل نقطتها المرجعية الواضحة.

المطالع لأعمال ايتل الفنية الهادئة والبسيطة قد يعتقد أنّها انعكاس لحياتها، لكن حياتها كانت صاخبة لأنها ببساطة إنسانة تسكن الكون. فهي التي سكنت بيروت لأب سوري وأمّ يونانية، وكانا يتحدثان التركية في المنزل. انتقلت إلى باريس ثم إلى أميركا لإكمال دراستها في فلسفة الفن. أدركت ايتل أنها من خلال الرسم تستطيع أن تعطي عالماً ومكاناً أفضل لمشاعرها. لذلك كانت لوحاتها المجردة طبيعةً بصريةً تمتد أمامنا. إنها الأماكن التي عاشتها وتخيّلتها وأحبّتها. فهي تحب الطبيعة وتحب الكون كما قالت أكثر من مرة. عاشت في العقود الخمسة الأخيرة من حياتها في سان فرانسيسكو، وحولها جبل مارتن هيدلاند وجبل تامالبايس. وكما تأثر سيزان بجبل سانت فيكتوار، كانت علاقة ايتل بالجبال والطبيعة قوية. لذلك، فإنّ صدى الجبال والبحر والسماء يُسمع من خلال لوحاتها. في الواقع، تعود علاقة عدنان بالجبل إلى منتصف الستينيات حين انتقلت للعيش في كاليفورنيا قرب جبل تامالبايس، فقد أصبح هو منزلها كما تردد دائماً. يتناسل هذا الجبل في نتاجها الأدبي والفني، فقد خصّته في كتاب بعنوان «رحلة إلى جبل تامالبايس» (2007 ـ نقلته إلى العربية أمل ديبو). الجبل بالنسبة إلى ايتل كتابها المفتوح، رحلة جوانية معراجية بقدر ما هي رحلة في عالم العناصر.

أما القمر، فله حكاية أخرى في لوحاتها. لعلّها استلهمت وجوده من لوحات مُلهمها بول كلي. فهو غير مكتمل أحياناً. ووراء الأحجام والألوان، هناك انكسارات خفيّة حيث نُلاحظ الهشاشة التي هي أقرب إلى الطبيعة الفطرية التي تتميز بالبساطة العميقة.

إنها لغة جمالية تعطينا الإحساس بأننا أمام طبيعة من نوع آخر، لأنّ لوحاتها المجردة تتعلق كثيراً بشيء في داخلنا أكثر ما تتعلق بالطبيعة الخارجية. إنها قدرة ايتل على تحويل الطبيعة إلى أشكال هندسية هادئة وخافتة كأنّ الطبيعة تهمس لنا. هذه الأعمال الفنية هي نوافذ على ذاكرة إيتل عدنان الصاخبة بالأمكنة التي تعكس حساسية ايتل تجاه الألوان والأشكال وليس فقط تجاه الطبيعة.

لا أشخاص في لوحاتها الفنية الزيتية. وكما تتحدث عن وجه العالم الاجتماعي والسياسي في كتاباتها، فهي تعكس وجهة الطبيعي والفيزيائي في لوحاتها. في بيروت، كانت ايتل مغرمة بالبحر، الذي كانت تراه في طريق عودتها من المدرسة. وكما كان حاضراً أيضاً في قصائدها، فهو يحضر في لوحاتها التي رسمتها في لبنان. وفي السنوات التي عادت فيها إلى لبنان من عام 1972 حتى عام 1975، رسمت لوحات كثيرة عن الجبال هناك، بخاصة جبل صنين. «عندما أموت، سيخسر الكون صديقته المفضّلة»، هكذا قالت لصديقتها وحبيبتها الفنانة سيمون فتال. فقد كانت ايتل صديقة الكون بكلماتها وألوانها. كانت تحب هذا الكون من خلال تلك اللوحات التي تعكس غموضاً ما كما تقول سيمون فتال التي كانت تدعوها لترسم في الاستديو الخاص بها في بيروت حيث كانت تعمل ايتل محرّرة ومهماً في رحلة ايتل الفنية. بعد ذلك بسنتين، اختيرت ايتل كأحد وجوه النسخة الثالثة عشرة من «دوكومينتا»، أحد أعرق المعارض في عالم الفن المعاصر في ألمانيا. عرضت يومها عشرات الأعمال واللوحات إلى جانب فنانين مكرّسين حول العالم. بدأت بعدها أعمالها تُعرض في أماكن كثيرة في العالم.

بالنسبة إلى ايتل، الفن شعر بصري خالص، يذهب الى أقاصي الروح ليستفزّها. لاحظت أنّ الفن العربي نادراً ما يأتي من جذوره الخاصة، فهو مترابط مع حركات الفن الغربي وخاصة الفنون الحديثة التي ظهرت في الآونة الأخيرة. ورغم تأثرها بكلي ونيكولا دو ستايل، إلا أنها تدرك أنها مختلفة فنياً عنهما.

هناك محطة مميزة أيضاً في حياة ايتل الفنية، فقد قامت بصنع كتب فنية من الكرتون المطويّ على شكل أوكورديون الذي يسمى «ليبيريللو»، التي استوحتها من الفن الياباني، كل مطوية هي عبارة عن رسوم تتلاقى حول رؤية أو موضوع ما، وتبرز فيها الأحرف أو الكلمات كأنها لوحات هيروغليفية. خطت داخلها بعض القصائد بالعربية على هذا الكتاب مصاحبة برسوماتها. تقول ايتل عدنان عن هذه الأعمال إنها «سينمائية»، يستطيع من يشاهدها أن يقرأها صورة وراء صورة، إذ اكتشفت أن الرسم كالكتابة تماماً. كانت تكتب وترسم داخل الكتاب بالحبر الأسود، وأحياناً بالألوان الأخرى. تكتب الفنانة سيمون فتال في مقالة عام 2002 عن هذه الـ «ليبيريللو» أنّ «كلماتها ترى مرتين بعين عدنان، مرّة كصورة ومرّة كنصّ». كانت تشتاق للعالم العربي ولبيروت، فتضع في هذه الكتب الفنية مقاطع لشعراء عرب معاصرين وتكتب القصائد بخط يدها. أضافت في ما بعد قصائد لشعراء أميركيين وفرنسيين. هذه الوسائط لم تكن فقط أنطولوجيا، بل إبحاراً نحو الزمن لنراه يتحرك، فنرى الطبيعة أيضاً تتحرك في الرسومات مع الكلمات المخطوطة بيدها. تشكل هذه الوسائط الفنية إضافة فنية لعالم ايتل عدنان الفني، لأنها تتعامل فيها مع الكتابة كجزء من التجربة التشكيلية. ولا ننسَ أيضاً تصميماتها المهمة في عالم الصوف والسيراميك.

لفنّها القوة على النفاذ إلى أعماقنا كما شعرها تماماً، فهو يحاور فينا لغز الفن رغم انتمائه إلى قضاياه الإنسانية والسياسية، وهي التي لا تهمل في أعمالها الشعرية والفنية الأسلوب الفني المتناغم مع روحها وتجربتها. وهذا ما يجعل وزن العالم دائماً أخفّ في لوحاتها.

> وزن العالم دائماً أخفّ في لوحاتها

مقتطفات شعرية

الموت يختبئ وراء كلّ كلمة نكتبها

رغم تأثرها الشديد بنيكولا دو ستايل، تعْتبر إيتل عدنان نفسها أدبا وفنّا، خارج المدارس والتيارات المعروفة. تكاد تكون وريثة كفافي وريتسوس في استلهام الأسطورة الإغريقيّة واسقاطها على الرّاهن. هي ايضا شريكة الثلاثي الإغريقي العملاق ريتسوس، إليتيس، سفيريس في حضور الضوء والشموس

الطاغية على سينوغرافيا قصائدهم. منذ 1997، دأبت على كتابة نصوصها في شكل مَقاطع نثرية وجيزة تمتزج فيها الأجناس الكتابية بين شعر وتأمل فلسفي ونقد فنيّ. نقلنا المقتطفات أدناه عن الطبعات الفرنسية

ترجمة وتقديم **رشيد وحتي**

■ من ألف لياء: يوْم في نيويورك [1982]

الكنيسة الصّغيرة من خشب
قرّرت الذّهاب إلى المحيط
يصل بحّار عبر
سفينة جديدة
نجدّف على ضفاف
الجنون
بدموع
وقليل من المال

■ هناك [1997]

إلى ذكرى خليل حاوي

والأرض؟ بعض طين، بعض غراء، نيزك، أهي سيّدة نفسها؟

■■■

كنت ألقي بذكرياتي من النافذة فتعود، غريبة، في ثوب شحّاذين أو ساحرات، تتركني منغرسة هنا كسيف. لهذا الشمس بالغة الشحوب، ولم كلّ هذا الحبّ تحت أشعّة الشمس والحقيقة؟

■■■

هناك. أيّ نعم! رست سفن كولومبس، أين، — مع العفونة، الأوبئة، الجروح والموت، أخشاب لصلب الهنود — ومتى كان ذلك ولم؟ أنت أخي اللّدود إذنْ، طلّي التوأم، اكتًا في أميركا القارّة ومن بعثنا هناك؟

■■■

وتحدّثني عن السلام في المقهى، كما في الماضي، أقصد: بين الحملات العسكريّة ولا أحد يدرك كيف كتبت الموسيقى، من طرف من، فوق أيّ طاولة، بالحبر أم بالدم؟

■■■

هناك. مجتمعين في أحشاء الأرض لبرمجة هجمات قاتلة، هنا بالذات، غير مكترثين بقرارات البحر وها أنت بيننا — مايكوفسكي في مطبخ فرمير — فاقداً للبوصلة، أكان موتك مبرمجاً، أكانوا سيقتلون جارك الدائم (أكانوا سيمنعونه من مشاهدة الأخبار في هذه الليلة المتوحشة، أكانت روحه ستنظر إلى جسده يطفو فوق بركة دمه؟)، نعم، يستطيعون وكنت ستحدّو حذوهم، تقتل أوّلاً، والذرائع في ما بعد؟

■■■

كنّا نغبر الأدغال — أتذكر؟ — كان الحلم يكبر أسرع من نخلات جوز الهند، كنّا نحرّر العالم من سوئه. كنّا ندفن الفلّاحين البوليفيّين قرْب تشي، كنّا نمثّل من جديد قصّة المسيح بالتنقيب، ضاربين في أعماق التاريخ، أبعد من ينابيع الأمازون. كنّا هناك. هذا السفر محفوظ في سفر الذاكرة الحقيقيّة.

■■■

هناك. وكان ظلّانا جالسين هناك، وجهاً لوجه. أكنت خلف حجاب، خلف جدار؟ كانتْ عيْنان تمْتصّان أزرق الحزن الذي كنْت أرْمقه في الّليل، النهر الذي ولد في الأفق، نازلاً من المصطبات الضخمة، هائماً، مرعباً، ثمّ التحقت بي زهرة، اقتناتٌ من جوهري، استحالت إلهةً فراشة وواصلتْ، وجْداً.

■■■

أنْت تحيا في عتمة الرّوح، في مكان ما جنوب إسبانيا، حيْث تزوّجتَا ثم تطلّقنا، كنت عليلاً، تشخص نحونا نظرة الكنيسة، عندما لا تصلينا أو لا تحرق كتبنا.

■■■

الطين حيويّ، جوهريّ في الخلق، طبيعيّ في بلدان الأنهار، أنهار المنيّ والملح، فهو يصلح أيضاً لبناء البيوت، هناك، البيوت المطمورة تحت النّايالم والعلم الأميركيّ.

■■■

أقول لك هذا: النيران تبقى بعد موجة الجنون، وقبل أن تحبل زياتين بيْتي بثمار ستأكلها، هناك، وسط الدفء، موجة الجنون والغبار، وريقات تصير الأحجار.

■ بحّار [2012]

إلى سيمون فتّال

موجة، فتحة، حصان يصل، يخْضع، يغْرق، سماء مخطّطة بالدّم، ما السّماء؟ تسلّق جبال لتأمّل الغيمات. ماء على ماء، يعكس آليّات الذاكرة.

■■■

بحْر مصاب عنْوة بالأرق، سماء تجْري نحْو الشرق، زبد أبْيض يغطّي الماء منْ جديد. صمْت محيّر. تبْزغ الطّبيعة الأنثويّة للمادّة كجوهر للماء.

■■■

مطر يسّاقط. أزواج النّار تولّد فزعاً وظمأ في الحاضرين. أيمكن للماء أن يظمأ؟ بينما يركّز الرّعد الطّاقة، تصير متوالياتٍ من الموجات مقطوعات موسيقيّة. يقبض الفكر على الأصوات وينْفثها في العاصفة.

■■■

مثّل ميديا، ينتسب البحر للاسطورة، يتلاطم على أرْصفته الصّخريّة. يغلي، ويغلي، ينقبض في تموّجات الألق، يهبّ، ليهوي من جديد خفيفاً قبالة الشاطئ الاماميّ. عندما نرغب في رؤية اليمّ يستحسن في أغلب الأحايين إطباق العينين.

■■■

المحيط أوّل أبناء السّماء والأرض. الزّمان يحلّ أخيراً، يبصق موجات مهدّدة ويستعيد شكله. هيجان ذو طابع خاصّ، وحش.

■■■

نقطة انطلاقة الّلانهائيّ تكون دؤماً في المركز، ثمّة حيث تقيم الرّوح. خلف صورة، ثمّة الصّورة. العدم أسّ الكيْنونة، بإخراج مشهدي من الشّعر الذي يجْمع الأيروتيكا والفكر. ليس بحياة، لكنّه حيويّ.

■ متوالية الأيزفونات [2012]

كنْت أحبّ فسْقيّات باريس. لكنّ ذلك اندثر. البحار النّاشفة للقمر والجلبة الضّاجّة للمجرّات أندر الأشياء التي تسحر قلبي. وعليّ أنْ أعدّ لها نفسي. الانتظار لا يزْعجني.

■ الثمن الذي لا نريد دفعه من أجل الحبّ [2015]

عنْدما نعشق، نصير طيوراً. نشْرئبّ بالأعناق ونصغي لنشيد لم نكن ننتظره. نبقى خرسان. لكنّهم كثر أولئك الذين ليسوا على استعداد للمجازفة بحياتهم من أجل لحظة كهذه. لن يجازفوا حتّى بأقلّ من هذا، لنْ يتحرّكوا. إنّهم هلعون، يفضّلون البقاء في رداءتهم. بوسعنا تفهّمهم: الأحبّ في كلّ أشْكاله أهمّ أمْر نواجهه، لكنّ الأخْطر أيْضاً، الأقلّ توقّعاً، الأكثر إشباعاً بالجنون. رغم ذلك، هو الخلاص الوحيد الّذي أعرفه.

■ ليْل [2016]

طرحت الرّيح حقلاً من شجر الورد أرضاً.

«سفر الرؤيا العربي» (حفر ـ 29,5 × 20 سنتم ـ 2020)

■■■

ظلال تشبه بغربان أشجار الأمْس، الأماسي والغدوات جدران سجوننا.

■■■

زفافات الحكاية والقهوة الّتي نحسوها، في أيّامنا التي تزداد قصراً، تؤْقظ حاجتنا لإعادة ابتكار الحبّ.

■■■

قوقعات فارغة تترسّب في الشّاطئ في ساعات غير أكيدة دوماً.

■■■

يرفض الهنديّ الأحمر قطع الأعشاب لأنّها، حسب قوْله شعْر أمّه، وأنا أعده بألّا أكْسر حجراً أبداً، لأنّه قد يكون مسكن روحه.

■■■

تقودنا الفلسفة نحو البساطة.

■■■

الآن، موْجات من الورود تكسو الذّاكرة، لكنّ رغبة الطّفولة باقية، رغبة النّفاذ إلى قلب الزّمن. لا شيء يتحرّك... العشب ينمو بخلاف الكلمات. في هذه الورود، لانهائيّ اللّانهائيّ.

■■■

الميلاد في بطن مختوم، مع الّليل كأروما. أنا متيقّنة أنّ شيْئاً مّا يتبقّى من كلّ شيء، حتّى من العدم.

■■■

قشرْت الحائط منْ كلّ أثر للضّوء. وأثْرويْت في تعاريف ضبابيّة.

■■■

اليوْم جميل: الآلهة ثملة والفتيات يترنّحن تعباً. آن أوان قطْف الخشخاش المتكاثر والإيماء للسّفن التي ولدتْ فرْحانة.

■■■

قبالة المْرْآة، يبْدو الرّأس كوْكباً مضاء. أتساءل: هلْ لنا أنْ نبْقى مليّاً في قلب زهرة. يدور الخيال في حلقة كأمْتعة معزولة على مدرّج طائرة.

■ انْبثاق [2018]

تعود الأمْطار إلى صوت أصولها عندما يهمّ الّليْل بالتّمدّد: الّليل، في الأطيان، مديدة كالسّوارع المقفرة لمدينة... أو للطّريق نحو المجرّات البعيدة. الحيوانات تستشعر فقْدان الوجهة.

■■■

المْعْنى زائل.

■■■

يمْكن لضوْء شمْعة أنْ ينمّ عنْ كلّ عبث الانتصارات.

■■■

أنْظرْ للأحْجار هناك، للحائط المنصدع، للمطر.

■■■

لديْنا يقينيّات لنسند إليها أكتافنا، ونواصل رغم ذلك فتح المصاريع، استقبال أصدقائنا... في المدن الّتي تجنّبتْها الحرب...

■■■

يتنفّس النّاس بقوّة بين الكابوس القديم ورتابة النّهار. يمْكن لسؤال بسيط أنْ يرفع حرارة الواقع.

■■■

الْقمر أكْثر ممّا أنا عليه، لكنّه لا يستطيع أن يمنحك أكثر ممّا هو عليه.

■■■

الدّنوّ من الشمس، أمر مخيف، مخيف برهبة.

■■■

لنترك النّوافذ مفتوحة لتهدئة الرّوع النّابع من الأثاثات. البحر يرشق موجاته أعلى فأعلى. ملْح للْأرض.

■■■

آه لوْ أمكن النّفاذ في الواقع كما تنفذ سفينة في الّليْل!

ملف

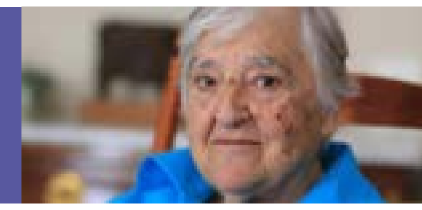

إيتل عدنان... اقترنت بالنور

الغرام الأول*

إذا كان الإنسان عنده ماضٍ أكثر من المستقبل، فلماذا تكتسبُ ذكريات الماضي دقّة مخيفة؟ أكثر فأكثر، أرى طفولتي وسنوات مراهقتي الأولى تظهر أمامي مراراً كما لو كانت شخصاً – مختلفاً في كل مرة- يوقفني في الشارع، يستجديني بأمر ما لا أفهمه، ومن ثم يختفي ليس وراء زاوية ولكن في الضباب، في النسيان.

هذا الشخص ربما كان منبعثاً من تلقاء نفسه (أو بالأحرى عائداً من وقت إلى آخر)، يطرح أسئلة، يطالب بالحساب، يسأل عن الإصغاء الذي لم يحصل عليه أبداً، متطلعاً أبداً إلى ما تشتاقه النفس من البدء ولم يتحقق أبداً. نحن مسكونون بهذه الأشباح ومطاردون عملياً منها، محجوزون بالذكريات التي لا ننجح بالتخلّي عنها لأنّ شيئاً فينا يعرف أن موتها سيكون موتنا. هذا وإذا كان بالإمكان أن تموت: ربما هي حظيت بحياة من دوننا، وإلى هناك لن نذهب أبداً.

في الحقيقة كنت ولداً وحيداً، لا إخوة لي ولا أخوات، وكان لأبي من زواج سابق ثلاثة أولاد- ولقد تخلّى عنهم بطرق شتى، وهم كانوا يعيشون في بلد آخر. ما كان عندي أولاد أعمام ولا أخوال من عمري. هذا الوضع لم يجعلني فتاة تعيسة بصورة خاصة، ولكنه دفعني، بكل تأكيد، إلى أن أفتش عن أصحاب أقدر أن أشاركهم لعبي، مشاعري، أفكاري وألعابي. وُلدت ونشأت في لبنان، بين أطفال من عائلات متشعّبة – عائلات بدت لي إلى ما لا نهاية، أنا كنت أبداً الصغيرة الغريبة التي كانت عائلتها تبدو هزيلة بالنسبة إلى كل الآخرين. وحتى الآن، الصداقة تبدو لي عجائبيّة، قبل كل شيء، متقلّبة.

بيروت، أيام طفولتي كانت مدينة حديقة وضواحي صغيرة، شوارع هادئة، وحياة بسيطة. مدرستي كانت تبعد شارعاً صغيراً عن بيتنا؛ كانت تديرها راهبات فرنسيّات ألّفن فرعهن من المدرسة الجانسينية الكاثوليكية مع التعالي الاستعماري وأعطتنا نوعاً من التربية الغريبة- متقيّدة بحرفية الكتب التي كانت غريبة تماماً عن محيطنا- ما خلق فينا عزلة عن تقاليدنا وأيضاً عن حاجتنا الداخلية إلى عالم سعيد. في هكذا مدارس، كانت رؤية العالم ضيّقة للغاية، يهيمن عليها أب غير منظور كان يوزّع العقاب أكثر من الجوائز للبنات الصغيرات اللواتي كن يتكلّمن عن خطايا ليس باستطاعتهن اقترافها، وكنّ ينتظرن أن تأتي فسحة الراحة كما ينتظر الرفاق في السجون الخفيفة العقوبة على الأرض.

بيتي كان وحيداً، مكاناً محبوباً. كنت أعي أن أمي جميلة فوق العادة وأن أبي كان يكبرها بكثير؛ وكانت دائماً تؤكّد أن هذه المعلومة كانت معروفة. حياتي العاطفية كانت واضحة: كنت أحبّ أهلي الاثنين وهذا كان كل شيء.

ولكن هذا كان بعيداً كل البعد من أن يكون كل شيء. قلبي كان مفعماً بالمشاعر. مشاعر لأي شيء؟ لا أظن أنّ أمراً ما كان واضحاً لديّ في طفولتي. قلبي كان ينبض، أجل، وعقلي كان مشغولاً، السباحة في البحر كانت خبرة سعيدة، يوماً بعد يوم في الصيف، في المرّات التي لم تكن فيها الراهبات من حولنا.

اللعب مع رفاق الصف كان هو المكافأة العاطفية الأعلى درجة: الركض في باحة الملعب، التحدّث طويلاً في الطريق إلى البيت حوالى الساعة الرابعة، أجرجر خطواتي، أمضغ الوقت، وأصل بعد ثلاثين دقيقة من الموعد المنتظر. كانت هذه محاولة مني لأستجلب النظر. وكنت أنجح في ذلك كثيراً من الأحيان. وبما أن الأطفال عليهم أن يختاروا صديقة مفضّلة، كنت أشكل غالباً ثنائياً مع رفيقة الصف الصغيرة السنّ مثلي، أنيسة شاكر. أتذكر وجهها ومظهرها، كما لو كنت رأيتها منذ بضعة أسابيع. كانت عيناها خضراوين زرقاوين، وشعرها أسود أجعد كثيراً، جلدها على شحوب، وعظام خدودها عاليات. كانت تسكن على بعد بضع بنايات في منتصف الطريق بين بيتي وشاطئ البحر. كانت أمها قد توفيت، وكانت هي تعيش مع أبيها وإخوتها الأكبر سناً منها. أمي كانت تحبها؛ أظن أنها كانت مطمئنة لأنها كانت تأتي من «عائلة كريمة». وهكذا كنت بانتظام – وكدت أقول باحترام وبفخر- أُرسَل إلى اللعب مع أنيسة في بيتها التراثي الجميل، الذي كان مبنياً من حجر، مع قناطر وشرفة. هذا بدأ على ما أظن لما كنت في السابعة، ودام سنوات. (في الواقع، بقيت على صداقتها حتى آخر مراهقتي، حيث وقع في حبي أصغر إخوتها، وصار صديقي الملحاح، كان يأخذني إلى سباق الخيل وإلى مشاهدة لعبة غريبة هي صيد الحمام، حيث كنا نراهن على الولد الذي يُنزل حمامة بطلقة واحدة. رويداً رويداً فقدت أخباره، ومن ثم أخبارها بعد أن ذهبتُ إلى باريس لأكمل دراستي).

في الصف، كنا نجلس على مقاعد، كل واحد أمامه طبقة كانت تُفتح عمودياً، وفي الطبقة كان بإمكاننا أن نترك كتبنا ودفاترنا. وللجهة اليمنى في الطبقة كانت توجد محبرة. الراهبة-المعلمة كانت تحدّد لنا مقاعدنا. وصدف – ربما كان عمري تسع سنوات- أنه كان مقعدي إلى جانب فتاة اسمها هيلين.

أحببت هيلين منذ اليوم الأول حين قعدنا جنباً إلى جنب. كانت هادئة، هدوءاً ملحوظاً. أنا كنت طفلة لا تعرف الراحة واجتماعية، فخورة بتحريك الأمور، محطّ إعجاب معلميّ لنجاحاتي في الدراسة وكانوا حذرين مني لأنه كان ينقصني الانتظام.

لا أظن أنه استغرقني وقت طويل لكي أنتبه بأن هيلين كانت تختلف عن كل الأولاد. تدريجياً، كنت أدرك شعوريّاً أن هناك فرقاً بنظري (أو بالأحرى بقلبي) بين أنيسيا وهيلين. أنيسيا بقيت صديقتي، مع ما ينتج عن الصداقة من مشاعر مريحة، وكل الحرية التي تحملها. كنت أود أن أركض معها في باحة المدرسة وآكل الحلوى في بيتها، نتحدث، نضحك ونمضي ساعات في حديقتها. ولكنني مع هيلين لأول مرة في حياتي شعرت بالحياء، بالخجل، مرتبكة أمام طفلة أخرى، وكنت أدرك هذا وما كنت أستطيع أن أتدبر أمري. كنت جدّية للغاية معها، شديدة الانتباه، كنت فخورة أيّما افتخار أن أمشي معها حتى نبلغ شارعها، سعيدة بالاعتزاز بدعوتها لي إلى بيتها، وكان لديها أخت وأخ أكبر منها. كل شيء يختصّ بها كان عندي بمثابة أهم الاهتمامات والألق. لماذا كان بيتها كبيراً وصامتاً وجديّاً؟ كان هذا يؤثر فيّ إلى أبعد حدّ.

ودام هذا الوضع سنتين. كنت «أحب» هيلين بشكل آخر عن كل من أحببت. أكاد أقول كما في السينما، ليس تماماً، ولكنه أيضاً ليس مختلفاً. بسببها، دخلت هذا الحيّز الذي يختبره الشباب، النصف- نكران والنصف -حقيقة بشأن ذواتهم وبما يتعلّق بمشاعرهم، وبقيت هكذا مدة طالت، العشرينيات من عمري، ومن خلال عشّاق آخرين. هي مأساة، بسبب الحاسّة السادسة التي نشعر من خلالها ما هو منتظر وما لا ينتظر منا وما يمكن اعتباره مخزياً. لماذا وكيف، نعرفه، أنا لا أعرف تماماً، ولكنه يأتي باكراً في الحياة، وعند بعض الأشخاص لا يعرف حلاً.

اكتشفت في قلبي أن ثمة مكاناً سكنت فيه هيلين، حيث كنت أكلّمها، وحيث كنت ألاحظ جمالها الخارق. كان ذلك حقيقياً، ليس مجرّد خيال. كانت تملك عينين ما رأيت أجمل منهما في حياتي كلّها. وبعد وقت، انتبهت إلى أنهما تشبهان عينَي «جاربو». كانت تبدو ناعسة بعض الشيء لما كانت تنظر إليّ (وإلى كل الأشياء). ما كانت عيناها زرقاوين ولكن كانتا عسليتين داكنتين، وكانتا تبدوان فاتحتين عندما تضربهما الشمس؛ ريف أجفانها كان يرسم ظلاً كبيراً عليهما، ينحني حتى أسفل خديها.

كنت خرساء في غالب الأحيان بوجودها، تماماً كما كنت أشعر بعد عشر سنوات أو 12 سنة عندما وقعت في حب امرأة- لا أقول أعمق، ولكن بوضوح أكبر وبعنف أكثر- كنت التقيتها في باريس في أيام دراستي.

بيروت في الثلاثينيات كانت هي ذاتها مدينة على عتبة المراهقة: جديداً توّجت عاصمة لبلد منحوت من قبل حلفاء سوريا. كان عطرها من الياسمين وزهر الليمون، وكنت ترى البحر من أغلب الشوارع. كنت قد أحببتها كطفلة، شعرت بجمالها وكنت ألتذّ بالاتصال بها كذهابي مع أبي إلى السوق أو هرولتي عبر الشارع إلى أماكن السباحة. وكان الاختبار الأكثر إثارة آنذاك حضور فيلم .آه، الأفلام، أيّما حب، أيّما هيام بالمستحيل! كانت دور السينما في المدينة قليلة والأولاد كانوا من المفروض أن لا يتردّدوا إليها، ولكن أمي كانت (فهمت ذلك من بعد) على علاقة بشاب وكانت تذهب إلى السينما وتأخذني معها، عادة في السهرة وفي الشتاء.

كنت أعبّئ رأسي من الأشعة السوداء والبيضاء على الشاشة وأشاهد أناساً بالغين جميلين يقترب بعضُهم من بعض لأجل خلق جو من الميوعة أسمّيه حباً. باكراً، كوّنت السينما إحساسي (أكان جيداً أم قبيحاً)، ونجوم السينما أصبحوا نماذج رغبتي. نساء ورجالاً كانوا متساوين في الجاذبية، متساوين ساحرين، ولقد كانت «جاربو» تلامسهم كلهم.

في ملعب المدرسة، كنت أروي للأولاد الذين يتحلّقون حولي، ما رأيته. ذات يوم، ضبطتني راهبة شمطاء، وأنا أؤدي رقصة- على ما أظن مازوركا لجاربو- لتفسير المشهد. فحرمتني من العطلة خلال أسبوعين، لكن كل هذا زاد في انبهاري بالنوعية الإباحية التي للصور السينمائية بالأسود والأبيض، إلى حدّ أنني بعد عقود عدّة ما زلت أجد فيها شيئاً من تلك النوعية التي لا تموت حتى في صور تافهة للشجر أو الأزهار لأنسل آدمز.

والذي أضاف الأمر سحراً أن صالة للسينما قد دشّنت بمقاعدها المخمل الأحمر براديها الهائلتين، وكانت «الروكسي» من أجمل الصالات، وأكثرها أهمية، في المدينة، وكان يملكها عم صديقتي هيلين الصغيرة! وهكذا كان، من سنّ الحادية عشرة ومن بعد، كانت «الروكسي» مرتبطة بصورة هيلين، حتى لو لم أكن أراها في ما بعد. الزيارات إلى «الروكسي» كانت تكتسب أهمية أكثر لأن ذلك العمّ كان يشاع أنه سكن أميركا (وهذا الأمر الوحيد المرتبط بالسينما)، وعاد ليزيد المدينة صالةً جديدةً لأحلامها. كانت هذه الصالة حيث شاهدت «بلود أند ساند»، «ذي سكارلت أمبرس»، «آنا كارنينا» وبعد زمن، «ذي بير فوت كونتيسّا». وبعد وبعد.....الخجل والاحترام التي كانت تولّده فيّ هيلين، كان يقترب من الممثلين، كان حضورهم جدّياً في قلبي وعقلي ولكن نادراً ما كانوا حاضرين في يومياتي.

حدث أمر ما، ما كنت لأتذكره، ولكن كنت غاضبة عليها بسبب أمر ما – أو لا شيء، وهذا كان بيت القصيد – وكنت لا أتكلّم معها بالرغم من أننا كنّا نجلس على المقعد ذاته. كنت أشعر بخليط من الحزن وشعور آخر لم أكن أعرف أن أحدّده، وقتئذٍ كنت أنكمش على ذاتي عندما كان الأمر يتعلّق بها، وما كنت أستطيع أن أخرج من هذا الجو الذي يمتلكني. حزني كان يبدو واضحاً لأن واحدة من بين المعلمات، شابة صبيّة، أتت إليّ بعد الظهيرة حين انتهى الصف وأوقفت هيلين وهي خارجة. جمعتنا وقالت: «اقتربا يا صغيرتَيّ، عليكما أن تسوّيا أحوالكما». وقالت لي: «أعلم كم أنت تحبّينها، كفّي عن هذه التفاهة». أتذكّر أنني كنت أنتظر هكذا لحظة ولكن، كنت أتمنى أن أعرف بالتأكيد لماذا، لأن هذا الموقف أعاد نفسه لاحقاً مع آخرين، وكانت ردّة فعلي وكنت دائماً نادمة. رفضت أن أبوح واعترفت بأن الأمور لم تكن تجري حسناً وأن العاصفة الصغيرة، كلّها من أعمالي، قد ولّت. وهكذا رحت ألعب مع الأولاد من دون تلك التي كنت أشتاقها بأسى.

> بيروت في الثلاثينيات كانت هي ذاتها مدينة على عتبة المراهقة

كان ذلك على الأغلب في السنة الثانية لعلاقتنا، بين الصداقة وشعور آخر كنّا صغيرتين لتحديد اسمه، ولكن كنّا نعي احترامه، والاضطراب، والحراك الذي يحدثه في أرواحنا. أنسب هذه المشاعر إلى هيلين لأنها حينها، ما كانت تتكلّم إلا معي دون الآخرين، ومعي كانت هادئة، بعيدة، حالمة أو راضية. بعد المصالحة المستحيلة (التي ندمت عليها)، ذهبت بحالها. ولكن ليس طويلاً. صادقت تلميذة جديدة بالاهتمام من رفاق صفّها. كنت أعرفها قليلاً، شعرها أحمر، عيناها زرقاوان روسيّة، كانت، عرفت ذلك من بعد، بنت أمير أذربيجاني منفيّ إلى موسكو حين قامت الثورة، وقدم لبنان طالباً اللجوء. تانيا ناهدشيفانسكي كان اسمها. كنت فضولية بالنسبة إلى شخصها وإلى الاسم، وعندما صارت وهيلين من أعزّ الأصحاب، كنت أنظر إليهما وأفكر كم تانيا محظوظة وأنني لا أستطيع أن أعيد بناء الحصريّة التي كنت عليها مع هيلين (أظن أن تانيا وأنا كنّا نتكلّم مع بعضنا لأن تانيا كانت طفلة معبّرة، واعية تأثيرها على الآخرين، وحضورها المميّز، وجاذبيتها الفريدة بين جماعتنا الصغيرة).

كان الولد في ذلك النظام الفرنسي التربوي أن يمرّ، عند عامه الحادي عشر، بامتحان «السرتيفيكا»، مؤشراً إلى أنه أنهى دروسه الابتدائية. الراهبات كنّ يعوّلن أهمية كبرى على هذا الامتحان في آخر السنة، لأن السقوط يعني ممنوع الترفّع إلى الصف الأعلى. وكان يلزم هذا الامتحان بطاقة وصورة ملصقة عليها كصورة الباسبور. كنّا عشرين في الصف وذهبنا كلّنا إلى المصوّر، وأعتقد أنني تكلّمت مع هيلين عندئذٍ. أعطينا كل واحدة منا صورتين أو ثلاث صور أكثر مما يلزم وبدأنا نتبادل الصور في ما بيننا، وأعطتني هيلين صورتها وأعطيتها أنا صورتي.

في بيتي، لم يكن عندي ما يخصّني، سوى درج حيث كنت أخزّن أقلامي، ممحاتي، مبراتي، وأظنّ بعض الدفاتر. وضعت صورة هيلين في زاوية، على كومة أغراض، وكلما كنت أفتح الدرج كنت أنظر اليها، أقرّبها من وجهي، وفي بعض الأحيان كنت أقبّلها بالكاد، وأضعها جانباً. ذات يوم وضعت عليها زهرة صغيرة، علقت بها غبار الطّلع مخلّفة بقعة صفراء صغيرة، وكنت مطمئنة لأنها لم تشوّه الوجه بل كانت في أعلى قرنة من الصورة.

تنقّلاتي، حياتي البدوية الجامعية، تقصيري في نقل أغراضي من مكان إلى مكان، وفي النهاية الحرب في لبنان، الذي أتت بعد سكني في كاليفورنيا... كل هذا أجبرني على التنازل عن الكثير من حياتي وانتهى بي الأمر مع وثائق قليلة من الماضي. حتى أكثر الأشياء القيّمة ضاعت، لكن تلك الصورة الصغيرة لهيلين كانت تطلّ عليّ من حين إلى آخر وأنا أخلط بعض أوراقي القديمة.

هيلين قالت لي إنها ستغير مدرستها وأيضاً تانيا كانت تفعل الشيء نفسه، وإنهما ستدخلان «الكوليج بروتستانت» المدرسة الوحيدة الفرنسية وغير الكاثوليكية في المدينة. كانت هذه المدرسة أغلى من كل المدارس الكاثوليكية. كان لها امتياز بحد ذاته، لأنها كانت تدار من قبل آنسة ويغمان، امرأة صلبة صارت مشهورة. طلابها كانوا من أغنى البنات، وأجملهن وأذكاهن. كان ثمة شيء متميّز بشأن هذه المدرسة، وفي أوساط الكاثوليك. كانت تسمع همسات بأنه لا يستحسن من الناحية الدينية أن تدخل هذه المدرسة. رجعت إلى البيت، وقلت لوالدتي إنني أريد أن أغيّر المدرسة. ردة فعلها كانت سريعة: «إنهم لا يؤمنون بالله هناك». مع أنها إغريقية، مولودة في سميرنا ومنفية إلى بيروت، لا بدّ من أنّها سمعت هذه الإشاعة وصدّقتها. ما كان لي الحظ أن أدخل هذه المدرسة. عرفت أنني خسرت رفقة هيلين. كنت أفكر بها دوماً، في حيّز هذا الذهن حيث الأفكار، الأفكار التي هي شعور، أيضاً، تتهادى على الدوام من دون وزن، كأنها غيمة محزنة، غشاء خفيف، كأنه مألوف ويأخذ سنينَ ليختفي، إذا اختفى.

سنة أو بعد سنة، يجب أن أكون بلغت الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمري. كنت أقود دراجة هوائية على الكورنيش، الطريق المحاذي للبحر والذي كان على بضع خطوات من بيتي، وقد كانت أمي قد سمحت لي بأن أتعلّم قيادة الدراجة الهوائية، وكان على مقربة من عندنا، محل حيث بإمكانك أن تستأجر بمقابل قليل من القروش واحدةً من هؤلاء الماكينات الصغيرة والأنيقة. قلّة من الناس كانوا يستأجرونها للّذة وكان أغلبهم من الصبية. ولكن ذات يوم من بعد الظهر، صادفت هيلين وتانيا. كانتا تركبان دراجة هوائية على الكورنيش وحيّتاني من بعيد. تفاجأت بهما وكدت أصطدم بسيارة مارة، تعرّجت ثم وقعت. السيارة وقفت، السائق تأكّد بأنّني لم أصب بأذى، وأنا لمّا وقفت عدت إلى دراجتي، والبنتان صارتا بعيدتين، توجهت إلى الاتجاه المعاكس، أعدت دراجتي وعدت إلى بيتي.

مضى الوقت، بما فيه الحرب العالمية الثانية، السنوات الجامعية الأولى، ودراستي في باريس، باركلي وهارفرد، وسكنت في كاليفورنيا، التي أحببتها وما زلت أسمّيها وطني، ولكن قبل بداية الحرب الأهلية اللبنانية، رجعت وقتاً قصيراً إلى بيروت. (حيث أجبرني القتال إلى العودة إلى أميركا).

في بيروت، كان مقهى صغير معروف بالـ «هورس شو»، روّاده من فناني المدينة وصحافيّيها. بالقرب منه، اكتشفت أنّ محلاً لبيع ملابس أنيقة فُتح أثناء غيابي الطويل، كان المحل لأخت هيلين، ماري، وأنا كنت متأثرة لأني وقعت على أثر لهيلين. (ماري كان اسمها أميركياً لأن عائلتها هاجرت إلى الولايات المتحدة وعادت العائلة إلى لبنان بعدما وُلد الأطفال). وهنا ما يفسّر لماذا كان هناك أمر ما مميّز عند هاتين البنتين اللتين دخلتا المدرسة معي.

ذات يوم، رأيت هيلين من خلف زجاج الواجهة. دخلت المحل وقلت «هالو» إلى صديقتي القديمة. لم تظهر عليها المفاجأة، ولكن ابتسامة هزيلة وإشعاع نور مرّ في عينيها الجميلتين دائماً شجّعاني على أن أقول بضع كلمات. علمت أنها تزوجت ولها ولدان. كان هذا كل ما لديها أن تقول. «ماذا تفعلين الآن؟» سألتها.

كان الطقس صيفاً وأجابت أنها ستذهب إلى البحر. «لماذا لا ترافقينني؟»، وأنا ظننت أنني سأذهب. ولكنّي عدلت. ولاحظت أنها شاحبة بقدر ما كانت شاحبة وهي صغيرة، وساهية. لو كنت لقيتها لأول مرّة، لكنت وجدتها حبّوبة، جذّابة، ونمط الناس الذين كنت أودّ أن أعرفهم، في طريقة هادئة. كان الأمر كما لم يقع بعدُ وكنّا طفلتين، خجولتين، بريئتين، أمامهما مساحات غير مضبوطة، غير قلقتين، لا معرفة من أي نوع، من غير ماضٍ ولا فكرة عن المستقبل. مخلوقتان صغيرتان سعيدتان، إحداهما بالأخرى ولا تعيان أنهما سعيدتان.

لا لم أذهب إلى البحر. أنا لا أريد أن أعرف إن كنت على حق أو على خطأ. في مجرى حياتي تأملت بالحبّ مراراً وتكراراً وأنا لا أزال أفكر: الحب هو الأمر الأهم الذي نتعاطاه، وهو دائماً الأصعب. يأتي كموجة لامتناهية القوة تخلق الخوف من الغرق، يقمع الذكاء، يشلّ إرادتنا، ويبدو بلا أمل منذ البداية. على الأقل، هكذا يُهيّأ لأغلبية الناس وأنا اختبرته دوماً هكذا.

هو يقفز فوق طرق العقل، هو جنون بجوهره، ويبدو أنه ينبع من منطقة داخلية للذهن – أو من النفس – حيث يسكن الهلع. يخلق حاجة يائسة، الحاجة لتوقيف في الزمن والمكان والشخص المحبوب، إنه معاملة في المطلق. إنه ينتهي بمأساة لأنه في جوهره حرارة، لهب، قوّة تتحرّك بدون رقيب تأتي كانحراف إلى سلوكنا. لهذا السبب، كل واحد يقتل حبّه، بفضل الخوف: نخسر المعركة لأننا نخاف أن نخسرها، نفضّل أن نموت على أن نتعذّب، إننا محكومون ولكننا على خطأ.

* مقطع من نصّ «الغرام الأوّل» لإيتل عدنان ـ ترجمة: أمل ديبو

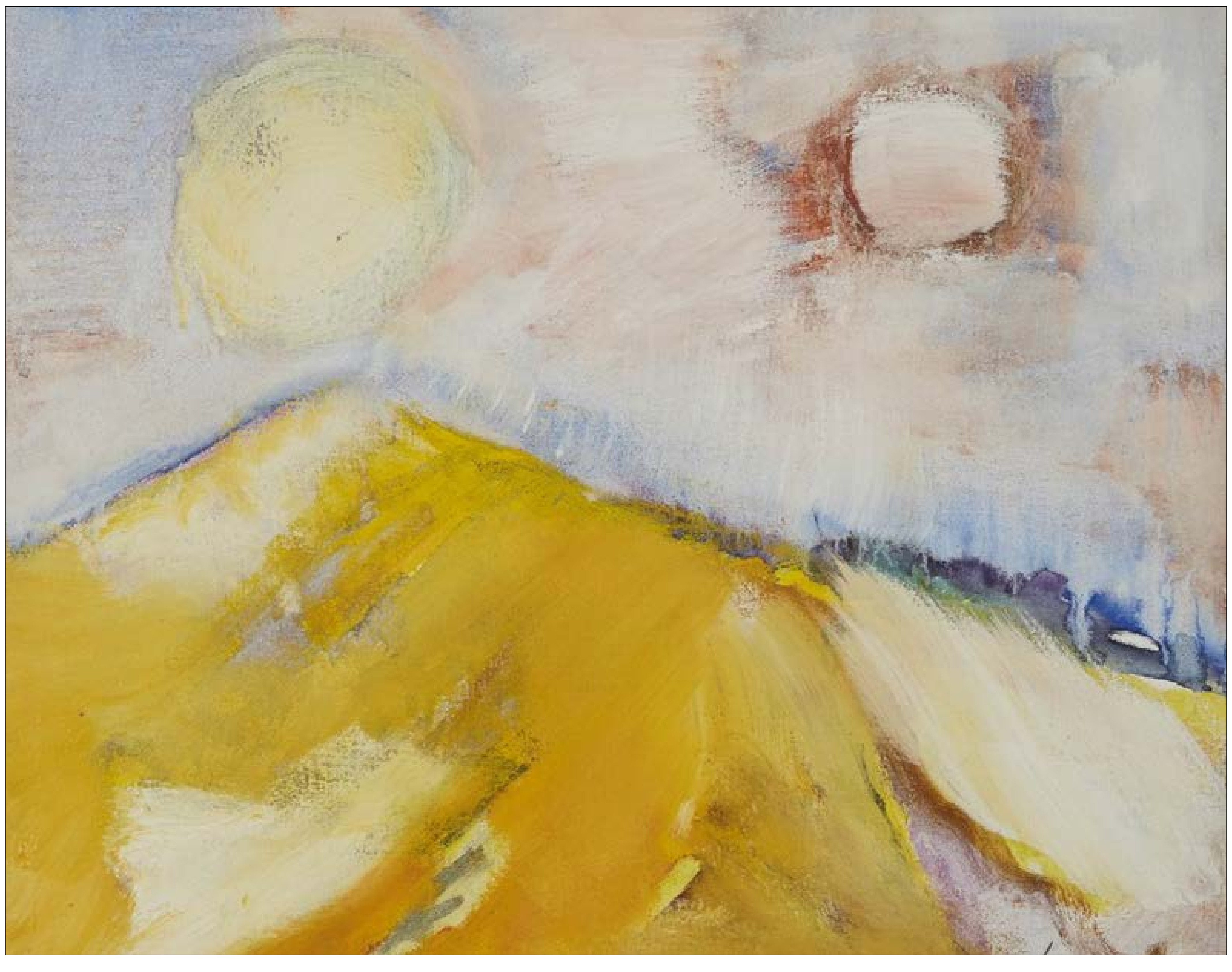

«الجبل، لبنان» عمل مشترك لإيتل عدنان وسيمون فتال (زيت على كانفاس - 54×64 سنتم - 1973/ بيروت)

السبت 20 تشرين الثاني 2021 العدد 4494
الأخبار al-akhbar
www.al-akhbar.com

ملف

إيتل عدنان... اقترنت بالنور

منظر طبيعي تجريدي لإيتل عدنان (زيت على كانفاس - 30×20 سنتم - 2015)

«سفر الرؤيا العربي» *

قصيدة 4

شمس صفراء في الوادي خمر أحمر بلون الدم مخطّط في السماء الشمسيّة!!!
شمس خضراء مخطّطة بهنود حمر أيّتها المجزرة المكلّلة بالعار!!!
شمس شديدة الحرارة رحلة حارقة في حدائق البنزين أيّها الموت!
مستوى شمسي وطنٌ شمسي قبيلة شمسيّة صه! منحدرُ وادٍ
عالمٌ أصفر شمسٌ زرقاء شمسٌ صفراء دوارٌ أبدي في يدي
هويس قناة النيل موقفاً أرعبَ القمر أيّتها الأسطورة المسحوقة؟؟؟
شمس؟؟؟ صفراء؟؟؟؟ شمس؟؟؟ خضراء؟؟؟ مركب؟ أزرق ووردي
نجمةٌ شمسيّة على جبين عينُها القمر قبر الفرعون
يا للخوف يا لوجع في الورك وفي عمود فقري فكّكه الغزو
نخلةٌ شمسيّة سرطانٌ متفشٍّ على مجرّة نجوم العذاب

شمس صفراء ترتجف فوق المكسيك. مكسيك يرتجف الشمس تنام
شمس خضراء وأخضر شمسي بُطء المراكب الشمسيّة على ذراعك
عالمٌ عشتُ فيه كعشبةٍ أكلتُ الحلزون وأزهاري مقطوعة
ربيع «نوبي» مدرك اغتصابٌ لشجرات لوز غير مزهرة. أزهار باهتة
عربيّ مشوّه معذّب يتقيّأ الشمس معلّقاً مشنوقاً من قدميه
شمس صفراء شمس زرقاء شمس خبازيّة شمس خضراء
أورشليم مبغى الإله أورشليم محترقة أورشليم من زجاج!

شمسٌ، قلتَ؟ صفراء، قلتَ؟ قلتَ صفراء لا لم تقل!
تلفاز كوكبي كرة صاعقة تعطي قبلةً لشمسٍ دويدة خبازية اللون
وشمس خضراء على مرج الدموع شمس في جيبي ما أفقر شمس الجيب

شمسٌ صفراء غبار ضجيج نقطة نقطة نقطة والحلقة زرقاء
يا للخوف يا لوجع في وركي شمس ساكنة وفي رأسي وفي عيون لعب الأطفال
شمس شتويّة ليليّة مخدرة جدلية ويمنية
يمنٌ أصفر كلقاح زهر اليمن وثلج جبال السيبرًا. موت النهار
شمس صفراء دوار بلا لون شمس تأكل شجرات اللوز.
نخلة شمسيّة متاحف نواويس وعفونة البحر أرمل. نعم.
شمس دمّاعة مخدرة بالورد سابحة الآن في السديم
شمس خضراء وخبازية متوارية نخاع عظام في المحبرة أفق مسدود
عالم ينتظر شمسٌ شمسيّة قارعة الباب تأكل كلماتها
شمس قاتلة للإله. في الفوضى الصفراء سيارات تشارك في سباق الرالي
شمس نائمة على الطريق السريع وشريفٌ يفحص دقّات قلبها. أمرٌ يضحكني كثيراً.
؟؟؟ عندما فتح المبغى أبوابه وجدنا شمساً تمارس الحب
شمس صفراء تتثاءب فوق بيروت فيما باريس تحتضر ونيويورك يُغمى عليها.
أيها الزمن المفكّك.

«قصيدة 7»

شمس حربٍ في بيروت نيسان صاخب ريح باردة في السفن
شمس صفراء على صارية عين في فوهة بندقية ميت من فلسطين
شمس خبازية في جيب صديقتي نزهة في باريس
طير على إصبع قدم فلسطيني ميت ذبابة لدى الجزار
بيروت – حمض – الكبريتيك قف الكرنتينا تحرق مجانينها قف بيروت
شمس في الإصبع شمي في الشرج شمس تمتطي الفيل
شمس وحش أرمني آكل لحوم البشر دملة على مراكب الشحن!!!!
شمس صفراء على الوجه سرطان على الفلسطيني مصيبة النخيل
سافرت على مركب تحت البحر حيث الأموات والأحياء نعم نعم نعم
شمس سوداء 24 جثّة سوداء في نعش واحد عين سوداء ساهرة
شاهدت صقراً يلتهم مخّ طفل في مزبلة في «الدكوانة»
شاهدت شمساً منطفئة تُستخدم كرةً في «صبرا» شطرتُ السماء
شمس معطوبة نخرتها الديدان تخيّم على بيروت الصمت يباع بالكيلو
أيّها البدو المغطّون بنواويس قمر موشوم سيمطركم بالديناميت
شمس ملغّمة طفل ملغّم سمكة ملغّمة والشارع ملغّم
كلوا وتقيّأوا الشمس كلوا وتقيّأوا الحرب سمعتُ ملاكاً ينفجر
شمس حيوانية تزحف على عمودي الفقري وتأكل عنقي. شعرها
شعرها يتساقط في الشوارع، الفاشية بلباس أخضر تستمني بنادقها
أيتها المغامرة المعكوسة! رأيت بيروت المجنونة تكتب بالدم الموت للقمر!
صاروخ يخترق البيت. رصاصات تفرقع. مخزنٌ يُخلع. هرّة تُداس
أنا أخذت الشمس من ذيلها ورميتها في النهر. انفجار بمْ بمْ...
بيروت عاهرة قذرة ناقلة لمرضى السفلس والشمس مصابة بعدوى المدينة
شمس زرقاء متقهقرة كرديّ يقتل أرمنيّ يقتل فلسطينياً
الدولاب الشمسي لأعراق سوريا أيها البدو المغفلون يا شاربي الغبار
شمس خبازية مُحِبّة للماء شمس صفراء كاذبة شمس حمراء مزهوّة
بيروت – الدهاء حزبٌ نشوان بالبترول وميليشيا الزوابع نشوانة بالمجرّة
شمس في بطن مغذى بالبقول نظام نباتي دسم لشمس ليّنة
شجيرات الأوكالبتوس مزهرة العرب تحت الأرض الأمريكان على القمر
الشمس أكلت أطفالها وكنتُ صباحاً سعيداً.

قصيدة 33

شمس العرب نوويّة مسلولة تبصق دماً ساديّاً وتشرب الحليب

شمس تلامس مياه الفرات بأصابعها الملتصقة ببعضها
تهرول من الأطلسي إلى الخليج لتهرس عشبة طريّة

شمس موشومة تنهش الذراع التي ترفعها والأظافرَ أيضاً
تهرول من بغداد إلى بيروت لتذبح 8000 حصان
شمس معتلّة تلقي مبيداتها في غابة الصنوبر
وتذهب إلى صيد الغزال على درّاجة ناريّة
شمسٌ كسيحة تتزوّج من البدوي لتنجب له طفلاً مشوّهاً
تذهب إلى البحر ليس إلا لتبيد سمكات القرش الزرقاء
شمسٌ كتلة من دخان تحرق ميناءً بعد آخر قف دخان أسود
تلتهم غلال القمح أمام أفواه الجائعين
شمس مصابة بالكوليرا تنتقل في تيه المخيّم
تعذّب المقاتلين الفلسطينيين المنطرحين على أسرّتهم القذرة

شمس معتزّة بمجدها تشرب من مجارير الأحياء الفقيرة قف نقطة على السطر
تظن نفسها ملكة وتجلد عبيداً مشبوهين
شمس تهوي في الوادي تتضرّع إلى الجبل
تختبئ تحت الرمل لتأكل النمل بهدوء
شمس مسمومة تشتّي جواهر في العواصم الكبرى
تواكب قطيعاً من الشحاذين إلى صلاة الجمعة. تمزّق سوريا
شمس مجنونة تطارد ذيلها في السوق التجاريّة _____
الشمس تغرق في كسوف وفي غياهم الغسق.

قصيدة 39

حين الأحياء ينحلّون فوق أجساد الموتى المنحلّة
حين أسنان المقاتلين تصبح سكاكين
حين الكلمات تفقد معناها وتصبح بطعم الزرنيخ
حين أظافر المعتدين تصبح براثن
حين الأصدقاء القدامى يهرعون للانضمام إلى المجزرة
حين عيون المنتصرين تصبح قذائف مشتعلة
حين رجال الدين يحملون المطرقة أداةً للصلب
حين القادة يشرّعون الأبواب للعدو
حين أقدام الجبليين يوازي ثقلها وزن فيلة
حين الورود لا تنبت إلا في المقابر
حين الفلسطينيّ يؤكل كبده قبل أن يموت
حين الشمس نفسها لم تعد تصلح إلا كفناً للموتى
المدّ البشري يتقدّم...

قصيدة 53

وقع صراع بين الجيف والجثث أنا أحببت جثة
علّقوه من شعره على سيارة شفروليه قديمة مطلقين النار!
ساقاه متباعدتان خصيتاه معروضتان كحبّتي شمندر
ظهره قشط الإسفلت فصفّق الأولاد
الشمس هاجرت وجه النساء منذ زمن طويل
قلن الفلسطيني لا يتعب قط بما يكفيه. والأرمني كذلك
كان ذلك في حيّ "البدّاوي" في شهر آب يوم السبت
الشمس سارت في الشارع راعدة المنازل نضحت من شدّة الحرارة
رأيت رجالاً سمر البشرة ينتعلون جزمات صيد وسترات مرتخية
حتى الحمير والخنازير رفضت صحبتهم هو! هو! هو!
امرأة تنتعل حذاءً مختلفاً في كلّ قدم وقفت تنظر إليهم
كانت أجمل من العذراء أكثر امتلاءً أكثر حناناً
أرَتهم يديها الفارغتين أسنانها المذهّبة ووساعة عذابها
عذاب أوسع من البحار من المحيطات من القارّات
راحوا يضحكون يحكون هؤلاء الأنذال.

*** صدر بالإنكليزيّة عام 1998، ثم تُرجم إلى الفرنسيةّ. أما القصائد المنشورة هنا فهي مأخوذة من النسخة العربية التي صدرت بعنوان «سفر الرؤيا العربي» (دار «التنوير» - 2016) ترجمتها أوديت خليفة.**